8me Année No 910 | Le Caire 11 - 12 - 1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مصـ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

« العدد ٩١٠ » « القاهرة في يوم الاثنين ٣٠ صفر سنة ١٣٧٠ — ١١ ديسمبر سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

آخر المدنية همجية !

هدد الرئيس ترومان باستخدام القنبلة الذرية عندما أصيب جيشه في كوريا، معتقداً أن مثل هذا السلاح المدمر يمكن أن ينهي الحرب ويرد إلى نفسه شيئاً من الاطمئنان .. وعندما أراد رئيس الولايات المتحدة أن يطمئن، خرجت الضمير الإنساني موجة من القلق عصفت بكل ما رسب في أعماقه من أمل في مستقبل السلام؛ ذلك لأن مستقبل السلام في العالم مرتبط بمستقبل الحضارة الإنسانية، هذه الحضارة التي لا يمكن أن يبقى مشعلها وهو معرض لهبوب العواصف والأعاصير !

يريد الرئيس الأمريكي أن يطمئن على سلامة مائة ألف من الأمريكيين، ولا ضير في منطق الضمير الأمريكي والسياسة الأمريكية أن يذهب الملايين من الأجناس الأخرى إلى الجحيم.

ولقد اطمأن الرئيس من قبل ونام ملء جفنيه ونعم بهدوء الفكر وراحة البال، يوم أن ألقى هذه القنبلة المشؤومة على مدينة هيروشيما فأودت بحياة تسعين ألفاً في لحظة عابرة لن يغفرها التاريخ! ولماذا لا يطمئن هنا «الإنسان» العظيم وقد أنهى الحرب اليابانية على خير وجه وفي أسرع وقت وبأيسر جهد فيما عرفه الناس من جهود؟ المهم هو ألا يراق الدم الأمريكي ولا بأس من أن يراق غيره من الدماء !

واليوم يحاول الرئيس ترومان أن يكرر التجربة ويعيد إلى الأذهان قصة الأمس البغيض، ولكن هذه الأذهان التي لم تثر بالأمس قد ثارت اليوم، لأنها قد أحست وخز الجراح العميقة التي عجزت من أن تحس وخزها من قبل، يوم كانت في غمرة المعركة واحتدام الصراع ! وعلت هذه الثورة الجارفة في ثياب صيحة ساخطة، أطلقتها في وجه أمريكا حناجر الأصدقاء، ولم تطلقها حناجر الخصوم .. ليدرك الرئيس الأمريكي أن مستقبل البشرية فوق مستقبل جنس واحد، وأن التفكير في بقاء القيم الإنسانية أجدى من التفكير في إلقاء القنبلة الذرية !

ترى هل يعتقد الرئيس ترومان أن مشكلة السلام والاستقرار والأمن، يمكن أن تحل بأن تنتصر أمريكا ولو كان انتصارها مرتبطاً بهدم الحضارة وإفناء الشعوب ؟ أي انتصار هذا الذي يريد له أن يبنى على الأنقاض وأن يقام على الأشلاء ؟ ويقال بعد هذا إن « الديمقراطيات » الغربية تسعى إلى توطيد أركان السلم وتنشد بث الطمأنينة في قرار النفوس، والقنبلة الذرية هي السلاح الكفيل بتحقيق هذا الأمل .. وهكذا نجد أن آخر المدنية همجية !

أ . م

تحية إلى صديق راحل

للأستاذ محمود رزق سليم

توفى الصديق الكريم ، عبد العزيز الراغى ، فى صباح الخميس ١٦ نوفمبر عام ١٩٥٠ م فخبا بوفاته نجم لامع ، وتوارت ومضات أمل ضاحك . وقد لاقى ربه بعد مرض لم يمهله ، ولم يشفق عليه ، وهو شاب القلب ، فتى الفؤاد ، يقظ الرأى ، متوثب الرجاء ، يعد نفسه إعدادا ممتازا لمستقبل سعيد يخدم به دينه ومليكه ووطنه

وقد تلقى أصدقاؤه وعارفو فضله خبر وفاته بقلوب واجفة ، وعيون دارفة ، ونفوس ولهى ، وشعروا كأن ساعدا قويا قد اختطفه من بينهم على غرة ، وبدا خالصة قد استلبته منهم على غير أهبة . ولكنه الأجل الموافى ، والقدر المحتوم ، والموت النقاد .

وقد نعاه الناعون ما بدا لهم النعى ، ورثاه الصحف ما عن لها الرثاء ، وذكروا طرفا من أخبار حياته الحافلة وبقى منها الشئ الكثير

وقد كان عبد العزيز واسع الأفق فى نواح من الحياة كثيرة . فقد هيأت له ملابساته — مع ذكائه وفطنته — أن تكشف له كثيرا من حقائقها ، كما دفعته إلى تجربة الأمور وملاحظتها ، فاكتسب من وراء ذلك مرانة وخبرة ، وحنكة وحسن بصر بالأمور ومعالجتها

وقد كان منذ صغره ، مشغوفا بأخيه الأكبر الأستاذ الإمام المراغى ، ويرى فيه نموذجا ساميا يقتدى به . وقد جمعت بينهما ظروف الحياة ، أكثر مما تجمع بين شقيقين ، فرحل معه إلى السودان ، وتعلم بكلية غوردون ، ثم عاد إلى مصر فاندمج فى صف طلاب الأزهر ، مبرزا بينهم حتى تخرج به بأرقى شهاداته حينذاك . وأرسل فى بعثة علمية إلى إنجلترا ، لبث بها زهاء خمسة أعوام ، ازداد فيها علما بالحياة ، ومعرفة بمذاهبها ومآتيها وتخصص فى دراسة التاريخ الإسلامى وتاريخ الأديان ، وهما من أهم المواد الثقافية صقلا للأذهان ودفعا للتجارب وتبليغا إلى الحق

ولما بلغ أخوه الأكبر صهوة المشيخة الجليلة ، للمرة الثانية ، كان عبد العزيز — وبخاصة بعد عودته من إنجلترا — أشد سواعده القوية ، ومن أقرب مستشاريه إلى نفسه . فحمل معه شيئا من العبء ، على مقدار طاقته وجهوده ، وطبيعى أن يصبح فى ذلك الحين ، موضعا للأمل والآملين ، كما كان عرضة للنقد والناقدين

وقد استطاع عبد العزيز فى هذه الحقبة — وهو على كثب من أمور الأزهر — أن يدرسها ظاهرها وباطنها ، صريحها ومؤولها ، وأن تتكشف له منها مواضع الداء ، ويظفر بالدواء . ولا أغلو حينما أذكر أن حدب عبد العزيز على الأزهر ، وشغفه به ، وأمله القوى فى أن يسمق بنيانه ، وترتفع أركانه ، كان شيئا فوق مكنة الطالب الذى يشق سبيله ، وينصب له

وقد عرف فيه إخوانه دماثة الخلق ، والمرح ، وبشاشة الوجه ، وابتسامة الثغر ، ورقة اللفظ على علاته — كما كان مطاوعا لكل ذى حديث ، ولو كان فيه إملال ، لا يصده عنه إلا تكيس وفن — وربما بين عليه بعض خلطائه أنه يلقى عدوه كما يلقى صديقه ، فلا برم ولا تنكر — وما كانت هذه منه إلا لرحابة صدره وحسن سياسته ، وحبه لتلاق ما يستطاع باللطف تلافيه . ولذلك ظل كثير ممن ينقدونه ويحملون عليه ، يبجلونه لذاته ، ويحبونه لشخصه ، ويلقونه لقاء الإخوة الكرام

ولما اختير إماما للحضرة العلية الملكية تفتحت له من الحياة سبل جديدة ، ازداد بها صيانة وسرفة ، وأخذ يخطو ويبرز نحو الصفوف الأولى بين رجالات الوطن وكان إذ ذاك حركة دائبة . فيؤدى واجبه أمام مليكه ، ويلقى دروسه وخطبه ، ويذيع فى المذياع ، ويكتب فى المجلات ، فى الأمور الدينية والاجتماعية والتاريخية

وقد كان عبد العزيز عالما أزهريا ، بالمعنى الذى يفهمه التاريخ والعرف وصاحب ذلك — فيما أعتقد — إلى حبه العميق للأزهر ، وما فى الأزهر من علم ، وماله من تقاليد . فهو وإن بدا مترفا فى بعض حياته ، جانحا إلى الأخذ بأساليب العيش الحديثة . كان شديد الحنين إلى الحياة القروية الساذجة الهادئة التى تتمثل البساطة فى كل شىء من ملبس ومأكل ونحوهما ، وهو سريع الجنوح إليها ما واتته الفرصة ولهذا كان أحب الأيام إليه ما قضاه

فى بلده بالصعيد ، الزراعة .. بين عشيرته

وأهم خصوصيات العالم الأزهرى – فضلا عن معرفة الشريعة الغراء – حبه الجدل والمناقشة ، وغضبته فى سوق الحجة والدليل ، وعدم استسلامه لخصمه فى سهولة ويسر . وقد كان عبد العزيز فى ذلك ، من الطراز الأول . لا يكاد المرء يدخل معه فى نقاش حتى يفيض بالاعتراض والاستشهاد ، وبالتدليل والتعليل ، والموازنة والترجيح ، حتى يصل إلى قرار الحق . يشهد بذلك تلاميذه الكثيرون فى كليات الأزهر ، وأصدقاؤه ، وأعتقد أن أصحاب الفضيلة الأجلاء أعضاء لجنة الفتوى ، قد أسوا فيه هذه الخصوصية ، خلال عضويته بها

وكان ضليعا فى معرفة الشريعة السمحة وأحكامها ، خبيرا بمذاهب أئمتها على اختلافهم ، بصيرا بمذاهب المتكلمين من علمائها . وقد أخرج كتابا فى مناقب « تقى الدين بن تيمية الحرانى » أتى فيه ضوءا على جهاد هذا العلامة فى سبيل دينه وصحة عقيدته ، مبينا أنها عقيدة السلف ، وأنها بعيدة عن مزالق المبتدعة من متطرفى الحنابلة . وقد استحق ثناء مستطابا على هذا الكتاب من كثير من الفضلاء.

وقد كان مؤرخا واعيا لتطورات التاريخ الإسلامى وتقلب دوله ، منقبا عن ذلك فى كتب التاريخ الإسلامى العربى منها وغير العربى

وكان أديبا بكل ما تحمل هذه الكلمة من المعانى . فقد أوتى حافظة قوية كنت أغبطه عليها ، ملمة بشتى عصور الأدب وتقلباتها وحوادثها إلماما محمودا ، وكثيرا ما تجود بالأبيات والعبارات الأدبية والأمثال ونحو ذلك ، عند أدنى مناسبة – وكان يطرب للدعابة اللطيفة والنكتة الرائعة – ولو على حسابه – ويأخذ حينذاك سبيله إلى المرح قائلا « لقد قتلنا كثرة الجد » ولكنه سرعان ما ينحدر إلى سوق الحكم وغلبة على الدنيا ، مع الرضا والاستسلام لقضاء الله وقدره

وكان كثير البحث فى مظان اللغة ، يحفظ من ألفاظها عددا تكتنز فيه المعانى ، أو يسم من المعانى الغريبة أو المستحدثة ، ويعنى بالألفاظ المترادفة فى اللغات ، وربما كتبه فى كل لفظة من المعانى . وأغلب الظن أن فى مسجلاته كثيرا منها

هذا إلى أنه كان كاتبا حسن الكتابة ، وخطيبا رائع الخطابة ، وعن أوتى مقدرة حسنة على تدبيج المقالات الدينية والاجتماعية والتاريخية . وهذه مقالاته فى مجلة « رسالة الإسلام » وغيرها ، خير شاهد

ولا نقول جديدا إذا نوهنا بدروسه الدينية وخطبه المنبرية ، فإنه أسبغ عليها مسحة من التجديد ، وأمدها بما تفيض به ثروته الأدبية وثقافته الواسعة ، فخرجت بجديد أسلوبها ومعناها ، عصرية بريئة من السمت التقليدى القديم

ومنذ سنوات أخذ على عاتقه إخراج كتاب من أمهات كتب الحديث والفقه والقضاء الإسلامى ، وهو كتاب « أخبار القضاة » لمحمد بن خلف بن حيان ، المشهور بوكيع . استنادا إلى نسخته الشخصية الوحيدة – على ما أعتقد – وأنفق فيها النفيس من وقته ، والرخيص من راحته ، حتى استقام له تقديمها إلى المطبعة ، فأخرجت منها جزءين وبقى جزء آخر ، وقد تسنى لى الاطلاع على الجزءين المطبوعين – وإن كانا لم يخرجا إلى السوق بعد – فوجدته أبدع فى هذا الكتاب بالتصحيح والتعليق وشرح الغامض وتخريج الأحاديث ، مما يشعرك بغزارة علمه وأدبه الجم وإحاطته بمسائل الفقه ومواضع الحديث ومظان الأدب ، وبما يشعرك بصبره وبالغ جهده فى سبيل خدمة دينه وشريعته – ولعل أحد خلصائه وأحبابه ينجز من الكتاب ما بقى ، حتى يخرجه إلى القراء ، ويكون لهما أثرا خالدا وذكرا طيبا .

وقد مضى الفقيد أخيرا بموضوع من أجل الموضوعات وأدقها ، « وهو تطور الفقه الإسلامى متأثرا بأحوال الدول الإسلامية » وكان كثير التفكير فيه ، والحديث فى نواحيه ، ولا أدرى إلى أى مرحلة من مراحله بلغ

وبعد ، فهذه عجالة فى ذكرى الفقيد العزيز دعتنى إليها مقتضيات صداقة كريمة دامت عشرين عاما على أنبل ما تكون الصداقات

رحمك الله أيها العزيز رحمة واسعة ، وعزى فيك الوطن والأصدقاء.

محمود رشدى سليم
مدرس الأدب فى كلية اللغة العربية

الغزالي وعلم النفس

للأستاذ حمدي الحسيني

- ٩ -

التحليل النفسي

التحليل النفسي طريقة عملية لمعرفة الرغبات المكبوتة في اللاشعور والعقد النفسية الناشئة عن هذا الكبت. وأول من فكر في هذه الطريقة ووضع قواعدها ومصطلحاتها العلمية العالم النفسي العظيم – سيجمند فرويد – وقد تقدم التحليل النفسي في السنين الأخيرة تقدما كان له أثر كبير في علم النفس فتطور هذا العلم بواسطته تطوراً عظيم الأهمية بعيد الأثر ولا سيما من الناحية اللاشعورية. وتتلخص طريقة التحليل النفسي في حمل المراد تحليل نفسيته على أن يطلق لنفسه العنان فيدع أفكاره تأتي وتروح بدون أن يضبطها أو يراقبها. وبهذا تكون أفكاره لا علاقة لها بالعالم الخارجي وتصبح حاله أشبه ما تكون بحالة الطريق حلم. ثم يطلب منه ألا يقاوم تلك الأحلام وما عليه إلا أن يقول كل ما يخطر بباله فيذكر أوهاما وعبارات مضطربة وألفاظاً لا ارتباط بينها. بعضها من حوادث بعيدة حدثت له في الطفولة وبعضها حصل له في بقية أدوار حياته الأخرى وأكثرها يتعلق بآلامه وآماله وبكل ما هو مؤثر في نفسه وسلوكه

ويجب على المحلل أن يكون شديد العطف على المريض فيعينه على البحث في قرارة نفسه حتى يصل به إلى حادثة أو فكرة معينة يتخذها كمفتاح يفتح به اللاشعور فيتوصل بها إلى معرفة سبب الاضطراب في السلوك والأعصاب. ومتى بلغ المحلل هذه النقطة أمكنه أن يعرف "كل شيء". فالتحليل النفسي إذاً مفتاح اللاشعور والغاية منه معرفة سبب الاضطراب في السلوك والأعصاب. ونحن نرى من الحق أن نبسط هذا الموضوع بعض البسط حرصاً على الفائدة وتوطئة لفهم ما عند الغزالي في هذا الموضوع فنقول

عندما اصطدم الإنسان بالمجتمع وما فيه من قيود اشتكت رغباته وميوله اشتكاكاً سبب له كثيراً من الأمراض النفسية والعصبية فخلقت هذه الأمراض النفسية والعصبية للمريض جحيماً مستعراً لا تنطفئ ناره ولا تخمد أواره. والذي يؤسف له حقا هو أن أكثرية البشر مريضة نفسيا أو عصبيا، أو نفسيا وعصبيا معاً وإن اختلفت هذه الأمراض قوة وضعفاً ووضوحاً وغموضاً وقد مضى على البشر القرون الطويلة وهم يتقلبون في جحيم من الأمراض وهم لا يشعرون ولكن لم تخف هذه الحقيقة الواقعة على أهل الفكر من أبناء الأجيال الماضية، فقد عرفوا هذه الحقيقة لأنهم أكثروا تدبرها ولكنهم حاروا في سرها وضلوا الطريق إلى فهم كنهها وحقيقة أمرها وأخذوا يتخبطون في هذا الأمر خبط العشواء في الظلام لا يخرجون من حالة الشك إلا ليترددوا في هوة أشد حلكة حتى ألهم الله – فرويد – بدراسة العقل الباطن وما في هذا العقل العجيب من عواطف مكبوتة ورغبات متصادمة متلاطمة وعقد مبرمة محكمة ومركبات عصبية مضطربة فاهتدى إلى حل هذه المشكلة النفسية بطريقة التحليل التي أشرنا إليها في صدر هذا المقال ونحن نعتقد أن الإنسانية ستجني ثمار الانتفاع بطريقة – فرويد – في التحليل النفسي متى دخل علم النفس التحليلي البيوت والمدارس والمصانع والمزارع وعمت العيادات والمستشفيات النفسية المدن والقرى، نقول هذا وأملنا كبير بتحقيق هذه الأمنية لأننا رأينا المدى الواسع الذي قطعه علم النفس التحليلي في الغرب خلال نصف قرن ذلك المدى الذي يبشر بقرب انتشار هذا العلم الجليل في الشرق فينتفع به الشرقيون عامة ويصبح الشرقي وقد تعود أن يذهب إلى العيادة النفسية لمعالجة الخوف والخجل كما يعالج السل والسرطان. ولا يفوتنا أن نذكر هنا شيئاً جليل الخطر في موضوع التحليل النفسي وهو أن خطورة العقدة النفسية وخطرها في خفائها وعدم الشعور بها، فإذا ما عرفت العقدة وأصبح صاحبها شاعراً بها انحلت وبطل سحرها ومتى انحلت العقدة انتهى السلوك الشاذ الذي كان متسبباً عنها وهذا ما يرمي إليه التحليل النفسي ويعمل لأجله المحللون النفسيون.

ولندع الآن الإمام العلامة أبا حامد الغزالي يتحدث عن

التحليل النفسي والطريق الذي يعرف به المرء عيوب نفسه .

يقول أبو حامد الغزالي

إذا أراد الله بعبد خيراً بصره بعيوب نفسه ، فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه ، فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج . ولكن أكثر الناس جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عينه ، فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق

الأول . أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع إشارته

الثاني . أن يطلب صديقاً صدوقاً بصيراً فينصبه رقيباً على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنية والظاهرية ينبهه عليه

الثالث . أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه

الرابع . أن يخالط الناس ، فكل ما رآه مذموماً فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها إليه فإن المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو من شيء منه فيتفقد نفسه ويطهرها من كل ما يذمه غيره

هذه طرق الغزالي الأربع في التحليل النفسي . فالطريقة الأولى قريبة جداً من طريقة علم النفس الحديث ونرى ذلك واضحاً عندما نتأمل ما يقضي به العلم الحديث من الإنسان حين يراد تحليل نفسيته على أن يطلق اللسان لأفكاره أمام المحلل وبين يدي شيخ بصير بعيوب النفس ويحكمه في نفسه ويتبع إشارته فيعرفه ذلك الشيخ عيوب نفسه وطرق علاجها . والطريقة الثانية هي الاستعانة بالصديق في معرفة العيوب وهذه الطريقة شبيهة بالأولى من حيث أنها استعانة بالغير في التحليل . إلا أن الأولى تحليل بواسطة اخصائي (شيخ بصير بعيوب النفس) — والثانية تحليل بواسطة صديق بصير في الرقابة دقيق في الملاحظة . وأما الثالثة والرابعة فهما طريقتان للتحليل الذاتي والتأمل الباطني وطريقة التحليل الذاتي أفضل طرق التحليل لذوي البصائر النيرة والعقول الراجحة .

ومن حق الغزالي علينا أن نذكر له معرفته سر العقدة النفسية وإدراكه أن خفاء العقدة عن صاحبها هو السبب الذي يجعل حلها صعباً وشفاءها في بعض الأحوال مستحيلاً ، وإدراكه أيضاً أن معرفة العقدة والشعور بها يسهل حلها والتخلص من شرها . يقول — فمن تكون بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج . ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم . ثم يقول في موضع آخر : إن من الأمراض ما لا يعرفها صاحبها ومرض النفس مما لا يعرفه صاحبه وإن عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه

ولنسمع الآن ما عند الغزالي من طرق المعالجة النفسية يقول: — ينظر في الداء فإذا كان البخل مثلاً فعلاجه بذل المال . ولكن قد يبذل المال إلى حد يصير تبذيراً ، فيكون التبذير أيضاً داء ، فالمطلوب إذن هو الاعتدال ، وهذا الاعتدال الذي يذكره الغزالي هو السلوك السوي الذي يعمل للحصول عليه المحلل النفسي لرد هؤلاء الشاذين في سلوكهم إليه ، ولم تشغل بصيرة الغزالي الخطط العصرية في رد الشاذ إلى الحد السوي من السلوك يقول - الوسط الحقيق بين الطرفين في غاية الغموض بل هو أدق من الشعر وأحد من السيف ولذا ينفك الإنسان من ميل عن الصراط المستقيم أعني الوسط حتى لا يميل إلى أحد الجانبين .

وسنتحدث في مقالنا القادم عن السلوك في نظر الغزالي إن شاء الله

حمدي الحسيني

شعر الحماسة عند العرب

للأستاذ احمد حسن الرحيم

شعر الحماسة لا يخلو منه أدب أمة من الأمم الراقية ، وهو قطعة من تاريخ حروبها الداخلية والخارجية ، وهو عامل قوي يؤجج في النفس الحمية والحرص على الكرامة . ولكثرة حروب العرب كثر في أدبهم شعر الحماسة والصدام . وقد تكيف العربي لبيئته القاسية وأذعن لما تتطلبه منه حفظاً لحياته ، فالذي يعيش في خيمته عرضة لكل هجوم يباغته به عدوه من الإنسان أو الحيوان ينبغي أن يكون شجاعاً متيقظ الحس لا تدركه الغفلات .

ولما كان الكلام من وسائل الدفاع - أيضاً - فقد وجب أن يكون سريع الارتجال ، حاضر البديهة ، بليغ الإجابة ، وقد أحب العرب باديتهم وفضلوها على الحاضرة واحتقروا بحريتها وملذاتها ، قال القطامي :—

ومن تكن الحضارة أعجبته ... فأي رجال بادية ترانا
ومن ربط الجحاش فإن فينا ... قنا سلباً وأفراساً حسانا

وقد كان العربي بحاجة مستمرة إلى سلاحه وجواده وقد روي عن حاتم الطائي الجواد المشهور أنه كان يجود بكل ما يملك إن سئل إلا أنه يشق عليه جداً أن يجود بجواده أو حسامه ، وهو على حق في ذلك لوجود آلة الحرب في مجتمع دموي يسلمه إلى القتل والهوان ، قال الشاعر :—

فما منعت دار ولا عز أهلها ... من الناس إلا بالقنا والقنابل (١)

وقسوة الصحراء وتنقل العرب فيها عز عليهم أن يدعوا الجياد متحكماً ، لماذا يحتملون الضيم وأرض الله واسعة ، ومطية الحر حاضرة ، وقد أوصى بعضهم بعضاً بمغادرة دار الهوان .

قال عنترة العبسي يطري دار العز ولو كانت سعيراً متقداً :—

لا تسقني كأس الحياة بذلة ... بل فاسقني بالعز كأس الحنظل
كأس الحياة بذلة كجهنم ... وجهنم بالعز أطيب منزل .

وقال غيره :—

إذا جانب أعياك فاعمد لجانب ... فإنك لاق في بلاد معولا

فالعربي في صحرائه جواب آفاق لا يضيره بل يسره أن ينتقل من أرض إلى أخرى إذ لا تربطه بها أملاك أو مصالح لا تنقل . ولكثرة ترحل العرب كثر أدب الحنين إلى الديار ووصف الدمن والأطلال والفراق كثرة بينة .

ونتج عن كثرة الحروب تعدد الزوجات ليكثر النسل (فالعزة للكاثر) ومن كان أكثر عدداً فقد نأى عنه الضيم ، ورشقت سهامه على خصومه .

إن لهم أن يعرفوا بالضيم أنهم ... بنو ناتق كانت كثيراً عيالها

وأبيح تعداد الزوجات حتى على الرجل ونشأة ضعف ينبغي أن يدوسها .

وتستكثر في الروع إذ وجوهها ... بخطل إماء والإماء حرائر

فهم يستكثرون من النساء لزيادة النسل ولا يمنعون لمن أن يستكثروا من البنات ، ولو كانت فتاة الصحراء كفتاة اليوم في حذق فن القتال لكان للعربي إلى المرأة نظرة أخرى . وقد ورد في تاريخ العرب ذكر نساء مقاتلات ولاسيما من الخوارج ولكنهن من القلة بحيث لا تستقيم بهن قاعدة . وقد تطور فن القتال وأصبح اليوم - بصالح المرأة ، فقد كانت قديماً آلة الحرب تحتاج إلى عضل شديد ، أما اليوم فقد أصبحت أجهزة دقيقة تتطلب المهارة وقوة الأعصاب .

ولقد تمكن حب الحرب من نفس العربي ، وساد نظام (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) وأصبحت الحرب مقدم من الأماني الثلاث العزيزة التي لولاها لا يحفل الإنسان بحياته .

قال طرفة بن العبد :—

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى ... وجدك لم أحفل متى قام عودي
فمنهن سبقي العاذلات بشربة ... كميت متى ما تعل بالماء تزبد
وكري إذا نادى المضاف محنباً ... كسيد الغضا نبهته المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب ... ببهكنة تحت الطراف المعمد

(١) جماعات الخيل

وقال غيره : —

وكان أخي جوادا ذا حفاظ … وكان القتل للفتيان زينا

وقال غيره : —

وإني في الحرب الضروس موكل … بإقدام نفس لا أريد بقاءها

ومن الصواب أن شعر الاعتزام والوعيد يذكي جذوة النفس ، ويحفز إلى الأخذ بالثار ويرهب الخصم العنيد ، ولعل من أسباب انصراف العرب عن الملاحم الطويلة أنهم بحاجة إلى نوع من الشعر سهل الترديد ، قصير مستقل بذاته ، سهل حفظه ، يردد قبيل الحرب أو بين الجموع المتشابكة — وقد جاشت الأرواح — ليقوى النفس على الثبات ويهيها الإقدام والحرص على مواقف البطولة — وجل ما ورد في ديوان الحماسة من شعر الحرب قصير موجز مع احتمال أن أبا تمام قصر منه بانتخابه النزر القليل .

ومن شعر الحماسة نرى أن قسما من العرب يرى أن من سمات الشجاعة والسماوة أن يكون الإنسان سريع الاستجابة لدواعي الشر ، متحككا به ، إمعة مع كل ثائر ، لأن ذلك من مظاهر القوة والبسالة .

قال الشاعر : —

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم

لأية حــــرب أم بأي مــكان

وقال غيره : —

لا يسألون أخاهم حين يندبهم … في النائبات على ما قال برهانا

وقال غيره : —

وأحيانا على بكر أخينا … إذا ما لم نجد إلا أخانا

وقال غيره : —

وإني لا أزال أخا حروب … إذا لم أجن كنت مجن جاني

فغفر الله (لسوار بن المضرب) وكان في عون من عاصره ، وعليته هذه غاية حب الخصام والعقوق أن يكون حريصا على أن يستمر حبل الشر فإذا لم يجن جنى الجناة وسار لهم وقاء لستدامة شرهم وخاصهم ، وإذا أسعده الحظ جنى على الناس تلك الأمنية .

ومن العيب على أفراد العشيرة : (ألا يظلموا الناس حبة خردل) أو أن يطلبوا من المستصرخ دليلا على دعواه ، وماذا عليه قبل أن يبدأوا المركة .

والمستقرئ[*] لشعر الحماسة في أدب العرب يجد منه ما يمثل عاطفتين متضادتين : عاطفة الرأفة بالأقارب ورعايتهم ، وعاطفة القسوة عليهم ، والشواهد على كلتا العاطفتين عديدة .

قال أوس بن حبناء في مقاومة الشر وإن جاء من ذوي القربى

إذا المرء أولاك الهوان فأوله

هوانا وإن كانت قريبا أواصره

وقال غيره : —

ونحن بنوعم على ذات بيننا … زرابي فيها بغضة وتنافس

ونحن كمدح السن (١) أن يسط شامخ (٢)

يدعه وفيه عيــــبه متشاخس (٣)

ويقابله آخر في رعاية حقوق القربى وإكرام صلة النسب : —

وإني لأسمى عنه كل حفيظة

إذا نيل مولاك (٤) احتمال الضغائن

وإن كان مولى ليس فيما يهمني

من الأمر بالكافي ولا بالمعاون

وقال غيره : —

لتسري لرهط المرء خير جنية

عليه وإن عالوا به كل مركب

من الجانب الأقصى وإن كان ذا غنى

جزيل ولم يخبرك مثل مجرب

وقال محمد بن عبد الأزدي :

ولا أدفع ابن العم يمشي على شفا

وإن بلغتني من أذاه الجنادع (٥)

ولكن أواسيه وأنسى ذنوبه

لترجعه يوما إلي الرواجع

وأحسب أن قصيدة (معن بن أوس) في مداراة القريب لا انتزاع الضغينة من صدره بالعتاب والتسامح وسعة الصدر هي أم الباب في هذا الصدد : —

١ — السن المدح التكسير . ٢ — الشاعب من يصلح الصدع . ٣ — متشاخس أي متفاوت . ٤ — من معاني المولى ابن العم . ٥ — الدواهي .

وذي رحم قلت أظفار ضغنه بحلمي عنه وهو ليس له حلم

وفيها يفصل أسلوبه الناجع في رأب الصدع وإصلاح الخلاف وتأليف الأفئدة. وقد أعجب بها عبد الملك بن مروان وكان ذا نزعة أدبية وفضلها على كل ما سمع من شعر أمرىء القيس والأعشى والنابغة.

وإذا أخذنا بنظرية (أدلر) في شدة التنافس بين الأقرب فإن ما ذكر من أشعار التنفس بين الأقرباء شيء طبيعي شائع كما أن استهال الحسنى في معاملتهم سمو من تغلب العقل على العاطفة لا يرقى اليه إلا القلائل.

ومن سمات الضعف والاستجداء قبول الدية فلا تقبل الديات إلا عند خوف معاقبة، وقبولها عندهم سمة الضعف والطمع.

قال مرة بن عداء من بني أسد: —

فلا تأخذوا عقلا من القوم إنني

أرى العار يبقى والمعاقل(١) تذهب

وقال غيره: —

ولكن أرى قوماً أصيب أخوهم

رضا العار فاختاروا على اللبن الدما

وقالت كبيشة أخت عمرو بن معد يكرب على لسان أخيها القتيل: —

أرسل عبد الله إذ حان يومه

إلى قومه لا تعقلوا لهم دمي

ولا تأخذوا منهم أفالاً(٢) وأبكراً(٣)

وأترك في بيت بصعدة(٤) مظلم

والمستحسن أن يضيف الموتور إلى رفض أخذ الدية زيادة في التنكيل والقتل يتجاوز بها حد المساواة.

قال أحدهم: —

فيا شنل شمر واطلب القوم بالذي أصبت ولا تقبل قصاصاً ولا عقلا

١ — من المصادر التي تذكرها أمالي القالي ج٢ صفحة ١٠٦ طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٦. ٢ — المعاقل: الديات. ٣ — مفردها أفيل صغار السن من الإبل. ٤ — موضع باليمن

ومما يدل على جودة الطبع، والثقة بالنفس وحب الصدق أن يعترف العربي لخصمه بالصفات المشرفة فيطري شجاعته ويصف البطولة في حملاته، وأشعار هذا الضرب تسمى عندهم (بالمنصفات) يكرمون شاعرها ويعجبون به فوق ما يعجبون بغيره من الشعراء قال عبد الشارق بن عبد العزى الجهني: —

شددنا شدة فقتلت منهم	ثلاثة فتية وقتلت قينا
وشدوا شدة أخرى فجروا	بأرجل مثلهم ورموا جوينا
فآبوا بالرماح مكسرات	وأبنا بالسيوف قد انحنينا

وقال زفر بن الحرث: —

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة	ليالي لاقينا جذام وحميرا
فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه	ببعض أبت عيدانه أن تكسرا
ولما لقينا عصبة تغلبية	يقودون جرداً للمنية ضمرا
سقيناهم كأساً سقونا بمثلها	ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

لقد ذكر من خصومه الواعية أنهم (كانوا على الموت أصبرا) وهذا لسان صدق وافظ بديع يعتز بها وبأمثالها تاريخ الأدب

وقال الفضل بن الفرج العجلي وهو شاعر إسلامي: —

إذا ما علتنا حملة مثلوا لنا

بمرهفة تذري السواعد من بعد

وإن نحن نازلناهم بصوارم

ردوا(١) في سرابيل الحديد(٢) كما ردى

كل حزنا أن لا أزال من القنا

بهم نجيعاً من ذراعي ومن زندي

ومن أشنع العيوب عند العرب أن يعيش الفرد للذته وعاره فتشغله اللذة من واجب الإباء والكرامة، وصورة مصعب بن الزبير ماثلة للأذهان إذ يترك من بعده زوجه سكينة بنت الحسين فتاة الحسب والأدب والجمال تندب ثكلها وهو يلومها على جزعها بقوله (ما ترك أبوك لابن حرة من عذر). وقد كانت لمصعب القدرة على النجاة.

١ — ردوا: مروا. ٢ — سرابيل الحديد: الدروع.

قال شبرمة بن الطفيل من شعراء العصر العباسي الأول: –

لعمري لرَكْمٌ عند باب ابن محرز
أغنّ عليه اليارقان (١) مشوف (٢)

أحب إليكم من بيوت عمادها
سيوف وأرماح لهن حفيف

فهو يعرض بهم لسكونهم إلى الملذات وازورارهم عن لقاء الحروب وأبو نواس – وهو ربيب حياة اللذة – لا يعجبه قول شبرمة بل يأنف منه على حافة الطرف الثاني قال: –

رضيت من الدنيا بكأس وشادن
تحيّر في تصويره فطن الفكر

إذا ما بدت أزراره جيب قميصه
تطالع منه صورة القمر البدر

فأحسن من ركض إلى حومة الوغى
وأحسن عندي من خروج إلى النحر

فلا خير في قوم تدور عليهم
كؤوس المنايا بالمثقفة السمر

تحيّيهم في كل يوم وليلة
ظبى المشرفيات المزورة للقبر

وهو بالإضافة إلى ما في حياته من عوامل الاستخفاف عاش في بيئة نُعمت بنعمة الأمان ، يسهر الحاكمون فيها على حماية دماء الناس وأموالهم ، ولم يكلفه مجتمعه واجباً دفاعياً فظل نفسه مستغنياً عن الجهاد، ولو عاش في بيئة يحتكم ساكنوها إلى القوة والسيف قبل النطق لتبين خطل رأيه وراح ضحية فلسفته .

وقد زودت حرب الجاهلية وحرب الجمل وصفين وحروب الخوارج تاريخ الأدب العربي بأروع أدب الحرب ، ولكنه نزر في العصر العباسي بالتدريج لتغير نظم المجتمع العربي . ولعل من أبرز شعر الحماسة في هذا العصر بائية أبي تمام في فتح عمورية وسيفيات أبي الطيب في الحماسة والمديح . وفي عصر الفترة المظلمة قصيدة صفي الدين الحلي (٦٧٧ – ٧٥٠ هـ) وأولها: –

سلي الرماح العوالي عن معالينا
واستشهدي البيض هل خاب الرجا فينا

أما شعر الحماسة في الأدب الحديث فبحاجة إلى بحث مستقل وقد اكتسب معاني جديدة لتطور أساليب القتال ومعداته .

لقد كانت شوكة العرب وسطوتهم طاقة حيوية دفعت بالإسلام إلى خارج الجزيرة واستغلها لنشر الدين لا لتذبح بها الأعمار .

وبعد فهذا شواظ من أدب الحماسة عند أجدادنا الأباة أعرضه على الأسماع لعله يقدح زناد الحمية في النفوس ويلهب ما ورثت من حب التضحية لتوهب لها الحياة العزيزة ، والدفاع المشروع تقره كل النظم الدينية والدنية .

الحلة – العراق

أحمد حسن الرحيم
ليسانس الأدب العربي

١ – اليارقان : سواران . ٢ – مشوف : مجلو

الغباء الاجتماعي ...

للأستاذ محمد عثمان محمد

في ركن هادئ، بأحد المقاهي العامة، جلس اثنان يتجاذبان الحديث، أحدهما محام له ماضيه وشهرته، والثاني طبيب مشهور يعمل كبيراً لجراحي إحدى المؤسسات.

وشاءت الصدفة البحتة أن يمر بهما أثناء جلوسهما صديق قديم للمحامي، ليست له معرفة بالطبيب.

وبالرغم من أن هذا الصديق مثقف ثقافة عالية، وحائز على أرقى الدرجات العلمية، إلا أنه لم يراع الكياسة الواجبة واللباقة الأدبية في مقام التحية والترحيب.

فهو مثلاً، لم ينتظر فرصة لصديقه المحامي حتى يقدمه إلى صديقه الطبيب، بل دفع الكلفة من تلقاء نفسه، وأسرع بمد يده إلى الطبيب الجراح مسلماً هازاً يده في حرارة وحماس شديد كأن له به سابق معرفة، أو كأنه صديق قديم لم يره من زمن بعيد.

وبمجرد جلوسه أخذ يسترسل في الحديث، منتقداً الطب والأطباء قائلاً إنهم فئة جشعة تجردت من الرحمة قلوبها، فقد أعمتها الأنانية الخبيثة، وبهرتها المادة الزائفة ببريقها الأخاذ، فسرعان ما طمست ضمائرها، ففقدت إنسانيتها التي كانت فيما مضى تمتاز بها أيما امتياز .. تصوروا أن بعضهم يأبى فحص المريض قبل المساومة .. إلى آخر ما في جعبته من مثل هذا اللغو المسترسل حتى احمر وجه صديقه المحامي خجلا.

أمثال هذا الصديق، كثيرون في المجتمعات المختلفة، والأوساط المتباينة في الشرق وفي الغرب .. نجدهم بين الطبقات الغنية الأرستقراطية، وبين الطبقات المتوسطة الديمقراطية، وبين الطبقات الفقيرة العمالية .. نجدهم بين المتعلمين المثقفين، وبين أنصاف المتعلمين، وبين الأميين على السواء.

وهؤلاء الناس، من أمثال هذا الصديق، يمكن اعتبارهم مرضى، مصابين بما يسميه النفسانيون: «الغباء الاجتماعي».

وهم لا يعنون بهذا الغباء ضعف الذاكرة، أو فقدان الذكاء العقلي، أو انطفاء الشعلة الذهنية المتقدة .. كلا، فقد يكون الرجل ألمعياً، وعالماً عبقرياً، وحائزاً أرقى الدرجات الجامعية، ومع ذلك قد يكون مصاباً بهذا «الغباء الاجتماعي».. وقد يكون الرجل أمياً، لا يعرف القراءة والكتابة، ولكنه مع ذلك قد يكون حاد الذكاء، حاضر البديهة، متحدثاً لبقاً، يعرف كيف يترك أثراً طيباً في نفس سامعه أو محدثه أو جليسه .. ولكنهم يعنون «بالغباء الاجتماعي» انعدام الميزة أو الصفة التي تجعل صاحبها محبوباً في المجتمع أو في البيئة التي يعيش فيها..

فصاحبنا مثلاً الذي لم يراع الذوق واللياقة وأدب اللباقة، وأخذ يجرح شعور جليسه الطبيب الكبير بدون معرفته طبعاً بكلمات أمر من الجمر، ووقف صديقه المحامي موقف المحرج بدون مبرر، لا يمكن أن يكسب يوماً أصدقاء، ولا يمكن أن يكون محبوباً في مجتمع من المجتمعات ... وبالتالي لا يمكن أن ينجح النجاح الملحوظ في الحياة، ولا سيما إذا كان يعمل في المحيط التجاري .. ذلك لإصابته «بالغباء الاجتماعي»، ولانعدام تلك الهبة الإلهية التي تجعل صاحبها أهلاً بالترحيب والحفاوة به في المجتمعات والحفلات.

ويمكننا، على ذلك، أن نقول مؤكداً إن نجاح الفرد في الحياة يتوقف إلى حد كبير على هذه الهبة الربانية، أو هذه الصفة التي تجعل منه رجلاً محبوباً في البيئات والأوساط التي يختلط بها.

وقد عزا بعض العلماء نجاح أكثر كبار رجال الأعمال والاقتصاد في العالم إلى هذه الموهبة الفريدة .. إلى هذه الصفة التي تجعل الفرد غير مكروه من الأفراد والجماعات، وتجعل له المقدرة الفائقة على اجتذاب القلوب.

بور سعيد — محمد عثمان محمد

على قبور الشعراء

القبر هو النهاية المحتومة بعد الموت لكل نفس عاشت على وجه الأرض، وتختلف نهاية كل إنسان على حسب عقيدته وعمله، فمنهم من جعل نهايته هداية لغيره، ومنهم من حذر من غرور الدنيا، ومنهم من شرح نهايته، ومنهم من طلب المغفرة من الرحيم الرحمن!

وهذه وصايا بعض الشعراء أملوها عظة وذكرى، لمن كان له قلب يفقه مصيره المحتوم!

١ – أوصى أبو العتاهية الشاعر وهو يجود بنفسه أن يكتب على قبره: –

أذن حي تسمعي اسمعي ثم عي وعي
أنا رهن بمضجعي فاحذري مثل مصرعي

٢ – ولما احتضر يحيى بن عيسى أوصى أن يكتب على قبره: –

رب ميت قد صار بالعلم حيا ومبقى قد مات جهلا وغيا
فاقتنوا العلم كي تنالوا خلوداً لا تعدوا الحياة في الجهل شيئا

٣ – ونظم أبو الصلت الأشبيلي أبياتاً أوصى أن تكتب على قبره منها: –

سكنتك يا دار الفناء مصدقا بأني إلى دار البقاء أصير
وأعظم ما في الأمر أني صائر إلى عادل في الحكم ليس يجور
فيا ليت شعري كيف ألقاه عندها وزادي قليل والذنوب كثير

٤ – وأوصى أبو العلاء المعري أن يكتب على قبره: –

هذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد

٥ – ونظم ابن الزقاق اللخمي أبياتاً وأوصى أن تكتب على قبره منها: –

أإخواننا والموت قد حال بيننا وللموت حكم نافذ في الخلائق
فمن مر بي فليمض بي مترحما ولا يك منسيا وفاء الأصادق

٦ – وأوصى محمد بن إبراهيم الأندلسي أن يكتب على قبره: –

ألا نفذ القدر السابق بموتي كما حكم الخالق
فقل للذي سره مصرعي تأهب فإنك بي لاحق

٧ – وطلب ابن زهر الأندلسي أن يكتب على قبره: –

تأمل بحقك يا واقفاً ولاحظ مكاناً دفعنا إليه
تراب الضريح على وجنتي كأني لم أمش يوماً عليه

٨ – ونظم ابن مطروح الشاعر ليكتب على قبره: –

أيجزع للموت هذا الجزع ورحمة ربك فيها الطمع
ولو بذنوب الورى جئته فرحمته كل شيء تسع

٩ – وطلب ابن منير الطرابلسي أن يكتب على قبره: –

من زار قبري فليكن موقنا بأن ما ألقاه يلقاه
فيرحم الله امرأ زارني وقال لي يرحمك الله

١٠ – وأوصى الزمخشري جار الله صاحب التفسير المشهور باسمه أن يكتب على قبره: –

يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى مناط عروقها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه في الزمان الأول

١١ – ووجد مكتوبا على قبر لم يعرف صاحبه: –

أناجيك يا أجداث وهن صموت وسكانها تحت التراب خفوت
أيا جامع الدنيا لغير بلاغه لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

١٢ – وقال ابن السماك: مررت على المقابر فإذا على قبر مكتوب!

يمر أقاربي جنبات قبري كأن أقاربي لم يعرفوني
ذوو الميراث يقتسمون مالي وما يألون أن جحدوا ديوني
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا فيا لله أسرع ما نسوني

١٣ – ووجد على قبر آخر.

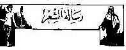
وقفت على الأحبة حين صفت قبورهم كأفراس الرهان
فلما أن بكيت وفاض دمعي رأت عيناي بينهم مكاني

١٤ – وقرأت أن أمير الشعراء المرحوم أحمد شوقي بك أوصى أن يكتب على قبره من قصيدته الفريدة «نهج البردة»

إن جل ذنبي عن الغفران لي أمل في الله يجعلني في خير معتصم

هذا ما عثرنا عليه لبعض الشعراء رحمهم الله – وسبحان الدائم الباقي

سنالوف — محمد منصور خضر



شاعر يودع الحياة :

اللحن الأخير ...

« أخي الأستاذ المعداوي :

« اسمح لي أن أقدم شكري لصبر الثقافة ممثلة في شخصك الكريم على الموقف العربي الذي وقفته إزاء شقيق من وزارة المعارف العراقية . واسمح لي أن أهدي إليك شكر الشباب العراقي لتآلف على رسالتك الرائعة التي وجهتها إلى وزير معارف العراق . ولكني في الوقت نفسه أود أن أسمع أدباء العربية بأن صرختك وصرخاتهم لم تنقلا إلى مسامع وزارة المعارف العراقية لأنها تجد في غمط حقوق الشعراء واجباً لا بد منه . وعلى كل حال باسم جميع شبيبة البلاد العربية إن أديت ما عليك ، لذا كان من واجبي أن أرفع هذا اللحن الباكر إلى وأمثل أديب مصري ، وهو كما أظن آخر ألحان الحياة . »

الناصري

جف نبعي وجف روحي الغليل … وتمشى على حطامي الذبول
وغدا قلبي الندي يباباً … ما به واحة ولا سلسبيل
وخيالي الطائر خيره الهم … فطار جاذبته الكهول
وارتعشت نفسي الجريحة بالوهم … وللوهم ركن المذول
فزع صارخ يلف حياتي … وخيالي تلفت وذهول
وفراغ كوحشة القبر أرجيه … فلا فرحة ولا ترتيل
وحدة مرة وغربة روح … راشها للعذاب صبر جميل
فالحنين المنين للشاطئ المجهول … ربي ووادي المستحيل
كلما أشرفت على الشيب روحي … ودها تأمل لجرح مسؤول
فالضباب الكثيف ، والغابة الحمكناء ، والوحش والطريق الطويل
والعذاب الممل والعدم الشامل ، والخوف والرجاء للقتيل
وعواء الذئاب والظمأ القاتل ، والشوك ، والهجير الأكول
وأنا راكض ، ألم آمالي عمري عشانون القبول

والمهات الحموم يا كل من مدري حطاماً قد مزقته النصول
وجراحي المفتحات الفرايا … تتنزى وكالضرام تسيل
كلما هوة يبرقها الموت ، وشك شبابه لا يزول !

• • •

يا « عماي » أنا الغريب بأرض … ليس شيئاً بها أقوى الدخيل
كيف أشقى وهذه الدار داري … كيف قولي . أنا الجليل رحيل !؟
كيف عم الظلام ، وانطمس النور ، وراحت على العقول السدول !؟
كيف الانسيحي إذا داد قوى … مستبداً بهم ، من جهول !

• • •

يا « عماي » ضوت في التيه عمري … منذا ! ضاع في الرحاب الأصول
منذا ضاع بلبل أسلمته … أيد الشؤم « برمة » و « طلول »
فطوى جنحه على الجرح يشدو … لا لا سياط « خليفة » أو « رسول »

• • •

يا ضلالي مع الأعاصير في الليل ، الهدى ، ومن ضلالي الدليل !؟
كيف لي والسنى يقود شروداً … ضل عن دربه فضاع السبيل
شاعر بالأسى نفست لياليه … وأيامه ، سنى وعويل
كل يوم ، يجر بدني على … أملا بالجموع مني غسيل
أتراني وقد نفضت « الثلاثين » سعيداً ، تشكلت . ماذا أقول
يا لهنا الشقاء ، قد نفض الريث ، وما زال في السراج الفتيل !!

• • •

رعشة الموت لم تزل في دماني … شمة ما لسرها تعليل
أنا من وجهها أعيش تكون … مرعب فوقه الردى مسدول
ما حياتي إلا انتظار رهيب … لجناحها ترى جناها يطول ؟
فمتى راحتي من جثث الرق … استقرار ووقت وجهي تحول
وهل مهجتي أمرات من السم … وفي عيني السهاد الطويل
وردني من فاجرات الليالي … بقع ، ما لأومن تصول
دمع الشؤم جيهتي فهل صدقي … من محيي المقبل دليل

• • •

دب في السقام وانتشر السل بجسمي ، وشاق نجمي الأفول
فأنا في يد اليأس جرح … حائر من أسنانه لا يحيل
وأنا في فم الضباء حطام … يتلهى به الردى المخبول
كان لي مطمع بأمس وقد مات … فماتت رغائب وميول

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

مع الفقيد الشهيد في العراق:

لا تعتب علي أخيك أن تأخر في تقديم خالص شكره وشكر الشباب العراقي المثقف إليك، على ذلك الموقف النبيل الشريف الذي وقفته من محنته على صفحات الرسالة، فلست ذلك الإنسان الذي سرعان ما ينسى الجميل ويتنكر لمعاني الوفاء؛ ولكن ثق أنني كنت في المستشفى أعاني وحر الألم وعناء الداء.. ولعل جاءت الرسالة، قرأ الناس تعقيبك الأول وكلمتك الثانية، فأعجبوا بهما شأن كل ما تكتب، ثم دفعت الصحف العراقية كلمتك الموجهة إلى وزير المعارف مطلقة ومذيعة.. وكان الثناء عاطراً عليك وعلى مصر، حتى لقد دفع بعض أصحاب النفوس المريضة إلى أن يفرغوا ما رسب في نفوسهم من أحقاد!

أما عن موقف وزارة المعارف العراقية فقد بقيت كعهدها الأول.. صماء بكماء، ويظهر أنها تريد محاربة الأدباء لأنها تخشى انتشار الثقافة في العراق! ماذا أقول لك؟ لقد قلت كل شيء في هذه القصيدة التي أقص عليك أحزان النفس وأشجان الحياة.. ألا توافقني بعد هذا كله على أنها يجب أن تكون «اللحن الأخير»؟ صدقني إنها تسمية صادقة، لأن الزورق المجهد يوشك أن يرسو على شواطئ الفناء!!

«بغداد – العراق» عبد القادر رشيد الناصري

الشيء الذي كنت أنتظره وينتظره معي الناس، هو أن يتفضل معالي الأستاذ خليل كنه فيثبت لنا أنه إنسان – كما ننتظر منه هذا الموقف الكبير، ولكنه أبى إلا أن يثبت لنا أنه وزير! ومن دلائل هذا الإثبات أن معالي الأستاذ قد أغمض عينيه فلم ينظر، وأصم أذنيه فلم يسمع، وأطبق شفتيه فلم ينطق بكلمة واحدة تنقذ الفن الشهيد وتنصف الحق المهضوم!!

إن القلم يعثر في يدي وأنا أسجل هذه الحقيقة.. هذه الحقيقة المرة التي تهمس في أذن التاريخ قائلة له: إن وزير المعارف قد آثر أن يكون من أصحاب الدول على أن يكون من أصحاب الإنسانية، وفضل جاه المنصب وهو تافه على فعل الخير وهو خالد، وزهد كل الزهد في أن تحفظ له الأقلام بشيء مما تحفظ به الناس من الذكر الجميل!

ألا يوافقني معالي الأستاذ خليل كنه على أن لأصحاب الرواتب حقوقاً على الدولة يجب أن تذكر فلا تهدر، وأن تصان فلا تهان، وأن يضرب بها المثل على سلامة الوعي ونزاهة القصد وعدالة التقدير؟ لا أشك لحظة في أنه سيوافقني بقلبه وسيؤيدني بلسانه.. والدليل؟ الدليل هو أن العراق قد ضرب يوماً هذا المثل، حين مد يده إلى مقعد من مقاعد الصحافة لينقل منه رجلاً إلى مقاعد الوزراء.. هذا الرجل هو معالي الأستاذ خليل

وعدي مثل أمسي من كئيباً … لا رجاء فيه ولا تأميل لي
بالمستقبل الرهيب أبيت … تاعياً في ركابه عزريل!!

• • •

أين مني لا عناية «القدر الساحر» بل أين «طيفها» «المجهول»؟!
أو لم أذبح الرقاد لعينيها … ء، وقلبي بحبها متبول؟
عاصراً مقلتي في قدح السهد … سلافاً والليل وحف ظليل
أراها كالآل تفتحه للعين … ولكن ما إن إليه وصول؟
تمت حقبة سرمت بها للصخر، ولحظ «الفناء» عني كليل
أن عمراً بالدمع والشجن المرار، يقضى لذاك عمر فضول
كيف أرجو من السقام نجاة … أو يرجو شفاءه المسلول؟!

• • •

إيه أشباح جنة الخلد هيا … فلقد ضاق بالحياة العليل
أقبلي كالطيوف من عالم النور، ورفي كالزهر وهو بليل
بالتهاليل طوقي حول نعشي … فلقد شاق سمعي التهليل
ثم زفي للقبر عرس شبابي … وتغني فذاك عرس جميل
واسرجي لي الشموع واحدي ركبي
فالسرى متعب، ودربي طويل!!

• • •

«بغداد» عبد القادر رشيد الناصري

كيف ؟! ما باله إذن وقد ظفر بكل ماله على الدولة من حقوق ، ينسى أن هناك أناساً لهم بعض الحق وهو في يديه ... ثم لا يمنحهم شيئاً من هذا الحق وهو قادر عليه ؟! سؤال حائر ، وسيظل حائراً ما شاء له وزير المعارف أن يحار ... أما الجواب ، فسيوافقني عليه معالي الأستاذ خليل كبه بقلبه إن لم يؤيدني بلسانه - وآه من حيرة الجواب بين القلب واللسان !!

ويقول لي الأستاذ الناصري إن صحف العراق قد نقلت كلمتي من « الرسالة » معلقة ومحشية - أنا شاكر للصحافة العراقية عطفها على الشاعر وثناءها على الكاتب ، وأدعو الله من قلبي ألا ينتقل أحد رجالها بعد الآن من مقعد التحرير إلى مقعد الوزير ، حتى تظل جذوة الإنسانية متوهجة منه في شعاب القلب متوقدة على شباة القلم ، يصطلي دفء هواها كل من أضناه برد الأسى وتجهم الأيام !!

أما أنت يا عبد القادر فدعك من هذا اليأس الذي لا يطيقه الشباب ولا تحتمله الحياة ... إن الشباب ومضة شجاعة باليوم وصلابة بالتضحية ، وإن الحياة زهرة ندية بالصبر فواحة بالأمل . فماذا تريد للومضة الساطعة أن تخمد ، وللزهرة اليانعة أن تذبل ، وللأمل الخالد أن يذهب أدراج الرياح ؟ إن الحياة يا صديقي ليست هي اليوم المشهود ولكنها الغد المرتقب ... الغد الذي قد يزف الربيع إلى حدائق الغصون ، ويطلق الأسرى من زوايا السجون ، ويحمل خمرة السلوان إلى ندامى الشجون !

وتسألني إن كنت أوافقك على تسمية هذه القصيدة التي بين يدي بالنفس الأخير ؟ إنني أوافقك على أنها يجب أن تكون كذلك ... أن تكون آخر لحن يضج بالشكوى ويشرق بالدموع ؛ ولهذا سأصفح عن هذه القصيدة الباكية التي لا تتفق مع أحلام الشباب وأمانيه ، على أن تكون قصائدك المقبلة كلها باسمة كالأمل ، مشرقة كالفجر ، خافقة بخفقات القلب المتفتح لنداء الحياة !

إن الابتسامة الصادقة هي السلاح القاطع في كل معركة وكل صراع ، وإن ما ينقصنا نحن الشرقيين هو أن نتعلم كيف نبتسم ... نبتسم للخصم كما نبتسم للصديق ، نبتسم للمرض كما نبتسم للعافية ، نبتسم للنصر كما نبتسم للهزيمة ، وعلى مدار قدرتنا على تلوين الابتسامة هنا وتلوينها هناك ، نستطيع أن نلمح الغاية ونرسم الطريق ونحدد المصير !

ولا تحسب بعد هذا كله أنك انفت وحيداً بلا نصراء ... إن بين يدي كثيراً من الرسائل من مختلف أقطار العروبة ، يؤازرك أصحابها بكل ما يملكون من عواطف الأخوة ومشاعر الولاء . وأنصفني أنه هذه الرسائل الأخيرة منها واحدة عرف صاحبها كيف يخاطب القلوب المغلقة في العراق !

رجع الصدى عند السودان :

قرأت تلك الصرخة التي أرسلها الشاعر العراقي المطبوع الأستاذ عبد القادر رشيد الناصري على صفحات « الرسالة » وقرأت ما كتبته أنت بشأن السؤال إلى وزير معارف العراق ، راجياً منه أن يتدارك صرخة الفتى الشهيد بعطفه ورعايته .. فإلى وزير المعارف العراقي أرفع هذه القصة :

جاء بمجلة كردفان التي تصدر بعاصمتها « الأبيض » الخبر الآتي تحت عنوان : « عطف ملكي » ... (وصل إلى علم جلالة الملك فاروق إبان وجوده بأرضها ، أن الطالب السوداني أحمد مدثر وقد ذهب إلى فرنسا لنيل العلم ، قد أرغمته سوء حالته المالية على أن يعمل « حمالا » في وقت فراغه ، ومع ذلك فقد نال دبلوم العلوم السياسية .. ولولا سوء حالته المالية لسافر إلى سويسرا للحصول على الدكتوراه ! وقد تعطف صاحب الجلالة الملك فاروق بعد هذه فمنحه خمسين ألف فرنك ، مع إعادته إلى سويسرا على نفقته الخاصة)

قرأت هذا على ما أسلفت ، وأردت أن أقارن بين الحالين .. ولكن القلم القاصر والبيان العاجز لا يتيحان لي أن أسبر مشاعر النفس فيما يلائمها من كلمات . . . وما دمت قد وهبت قلمك للدفاع عن قضايا الأدب وحقوق الأدباء ، فليس لي إلا أن أهدي هذه القصة الخالدة إلى وزير المعارف العراقي ليسمع ، وإلى كاتب التعقيبات المصري ليعقب .

« أم روابة - سودان » محمد الحسن شايع الدين

هذه المأثرة النادرة التي يخص بها نبأها الأديب السوداني

الفاشل ، أشارت إليها الصحف المصرية وكانت حديث الناس في كل مكان ، وأشادت بها الصحف الفرنسية وكانت محل التقدير البالغ على كل لسان — وليست هي بالأثرة الأولى لجلالة الملك فاروق، فما أكثر المآثر والمفاخر التي تحلى بها حياة هذا الإنسان العظيم! وقد يقول بعض الذين لا يدركون حقيقة القلب الإنساني كما فطره الله ، إن الملك فاروق قد مد يد العون إلى هذا الطالب لأنه واحد من رعاياه . إن القلوب الكبيرة في شعورها المرهف لا تفرق بين جنس وجنس ، ولا بين لغة ولغة ، ولا بين دين ودين ، ذلك لأنها طبعت على حب الخير ، وفطرت على صنع المعروف ، وجبلت على إسداء الجميل ! وأستطيع أن أقسم لمن يعن لهم أخلادهم مثل هذا الخاطر العجيب ، أن عبد القادر الناصري « العراقي » لو قدر له أن يكون في باريس إبان وجود صاحب الجلالة « المصرية » ، لما بكى شبابه الغالي من صفحات الرسالة!!

إني أذكر لحضرات المفضلين برسائلهم كريم عواطفهم ، وأقتصر على هذه الرسالة لأنها خير أمثلة يمكن أن تقدم لوزير المعارف العراقي في مثل هذا المجال . . وأكتفي بهذا التعقيب لأنني قلت اليوم وبالأمس كل ما يمكن أن يقال !

كلمات في نقد الشعر :

يشجعني على مواصلة الكتابة إليكم ومعاودة الكلام في شعر العطار وأباظة ، أني وجدتكم تتحسسون في الشعر الذي تحبونه وتؤثرونه ، تلك الإيماءات الخواطف للبصر ، المواكب للتفكير ، التي تقذف عليه هيئة أعطيت القدرة على التحليق المادي والانطلاق الحر ، في عوالم انقطعت دونها أخيلة الكثرة من الأدعياء ، عوالم زخرت بطرائف الرؤى وخوارق الصور .

بل يشوقني إلى هذا الكلام أني أجدكم تتحرون في هذا الشعر ، بل في الأثر الأدبي دون تحديد ، حلاوة ذلك الشعور الكامن بحقيقة الحياة ، الحقيقة التي تطلقه فيه روح متصلة السر بسر الحياة الأكبر . فهي تستمد عناصر قوتها وعناصر وجودها من تلك الصلة الخالدة التي تشرف بها على أقصى أعماق الطبيعة الإنسانية ، وتفضي بها إلى أسمى الحقائق في محيط هذا الكون الحافل الزاخر اللا محدود . وأنكم كذلك ترهفون السمع في العمل الأدبي إلى صدى ذلك الرنين ، بل إلى الرنين نفسه ، الذي أودعه فيه صاحبه ملكة فذة من تلك الملكات التي توصد المشكل حتى يخطر والمشكل كأنه توسل شيئاً خالداً لا يجوز عليه الفناء ، لأنه مما توقع عليه تجارب الحياة في مجال الشعور الصادق ، وما توحي نتائج تلك التجارب في نطاق الذهن المتفوق ؟

كل ذلك يحملني على الكلام ويغريني به ، لأنه يحملني أشعر بالطمأنينة إلى أنكم تنظرون إلى الحقائق الفنية الثابتة ، من نفس الزاوية التي أحاول أن أنظر منها إليها ، وأنكم تضمون للأعمال الأدبية الميزان الذي لست أومن بغيره أملاً . وهاأنذا الآن أقرأ لكم هذا التعقيب البارع على كلمتي السابقة ، أو هذا المقال النضل ، على إعجازه ، في شاعرية العطار ، مرتكزاً فيه الحكم على اتجاهه العام ، فأجدني راضياً كل الرضا عما أقرأ مقتنعاً كل الاقتناع بأن ما رأيتموه في شعر الشاعر يحقق في جملته وهذا الذي أراه .

هو في جملته شعر ينوزه عنصر الحياة الذي يذكي خواطر القارئ ، ويلهب وجدانه ، ويهز أوتار قلبه وكيانه . . وإن كان لا يخلو من اللفتات الشعرية المحققة في بعض الأحيان ! وهو شعر تنقصه أصالة الرؤية الشعرية ، وطبيعة الحركة النفسية ، برغم أن قائله من أحلى الشعراء جرساً كما تقولون . . أو هو يبارك العامة . شعر يفتقر إلى تلك الإشراق الذي يشع من الآفاق الفنية الرائعة التي يتداعى إليها الخيال المبدع، وذلك الفيض الحبيب الذي يمسك على الأثر الشعري حياته وأنفاسه ويصون نضرته ورواءه ، وهو يفتقر أخيراً إلى تلك الوسوق النفسية التي تحدثتم عنها في نقد الشعر

عن أي أحدثني يا سيدي الأستاذ ألا تكون قد انتقلنا بعد على وضع الشاعرين ، أباظة والعطار ، في طبقة واحدة . فشعر أباظة هو الأكثر شعر موفور : تحوطه هالة من الألوان التي تهب الذهن ذلك الحلو الخالص حيث تسيح الآفاق وترقص الأخيلة ! وتترقرق في أعماقه موجة الحياة حارة صادقة . الحياة التي تدنو منه من نفسك ، بل تلصقه إلى نفسك ، ويطيش كل ذلك عن مشاعرك ويمتد سحره إلى قلبك ، حيث جذور الحياة الإنسانية ، ليهزها من أصولها هزاً ، ويفتح ها فتحاً ! وأباظة فنان يقدم لنا في إطار

من أجل الشعر، وأطراه مشاهد فنية هي في الأغلب الأعم ملء النظر وملء الحس وملء الفكر؛ لأنه إذ يتناول هذا الشعر إنما يستجيب لحركة نفسه ويترجم من خوالج وجدانه، ويقبس ويشقه بذور قلبه.

وأخيراً أنا أعاود الكلام يا سيدي لأؤكد لكم مخلصاً أنه لا هوى يقود رأي حامل هذا القلم إلا هوى الفن الذي يتوهج في آثار الفنانين لمحات الأصالة الذهنية، ودلالات الصدق الشعوري وبعد.. فأختم هذه الكلمة محيياً فيكم شخص الأديب والناقد، شاكراً للظروف هذه الفرصة الكريمة التي أتاحت لي لقاءكم في هذا الجو الطيب الذي تتراوح فيه أنسام الشعر الجميل وأنسام الوداد الخالص. وإلى لقاء قريب إن شاء الله، في محراب قصتكم الخالدة «من الأعماق»... والسلام عليكم من المخلص.

دمشق - سورية — محمد الأرناؤوط

أتعرف ملكة «المزاج الفني»؟.. إذا استطعت أن تتخيل القصيدة الشعرية بأداتها الفني جسماً من الأجسام، وإذا استطعت أن تفترض كل ملكة من الملكات الشعرية عضواً عاملاً في حركة هذا الجسم، وإذا استطعت أن تتمثل الحيز الذي يشغله هذا الجسم من الوجدان المتذوق مكوناً من تلك المجموعة من الأعضاء؛ إذا استطعت أن تتخيل وأن تفترض وأن تتمثل هذا كله، فإن ملكة «المزاج الفني» هي الثوب الذي يلتف حول هذا الجسم بمجموعة أعضائه ليبرز تقاطيعه للعيون ويكشف من مفاتنه! إنه أشبه بالثوب الذي ترتديه أي حسناء. قد يكون جسمها نموذجاً عاماً لجمال كل عضو من أعضائه على حدة، وقد يكون جسمها نموذجاً عاماً لتناسق تلك الأعضاء مجتمعة، ولكن الثوب هو الحكم الأخير الفاصل بين أجساد الحسان، لأنه هو وحده الذي يطلعنا على مدى التفاوت الجمالي بين جسد وجسد! هناك ثوب يوحي إليك أن صانعه غير «فنان»، لأنه لم يراع النسب الفنية بينه وبين جسم صاحبته: من ناحية الطول والقصر، ومن ناحية الضيق والسعة، ومن ناحية التكاليف التي تلتمس مظاهر الزينة وتوائم بين لون الثوب ولون البشرة. مثل هذا الثوب لا شك أنه يظلم الجسد الجميل لأنه يقدمه للعيون على غير حقيقته؛ على تلك الحقيقة الأخرى التي أخفاها ذوق صانع غير فنان. ماذا ينقص هذا الصانع من «ملكات الفن» ليصنع «ملكات الجمال»! تنقصه ملكة «المزاج الفني»، ملكة تفصيل «الأثواب الكاشفة» عن مفاتن الأجساد!

المزاج الفني إذن هو المسئول، بل هو واضع الحدود والفروق بين طابع كاتب وكاتب وبين طابع شاعر وشاعر.. خذ مثلاً طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم — ككتاب في مجال القصة وحدها لا في مجال آخر — فستجد أن طه في «شجرة البؤس» و«دعاء الكروان» يمثل الطابع الأدبي فهو قصاص أديب، وستجد أن العقاد في «سارة» يمثل الطابع الفكري فهو قصاص مفكر. وستجد أن توفيق في عدد من قصصه يمثل الطابع الفني فهو قصاص فنان... وخذ العقاد مرة أخرى وعزيز أباظة وعلي طه — كشعراء — فستجد أن الأول يمثل المزاج الفكري فهو شاعر مفكر، وأن الثاني يمثل المزاج الأدبي فهو شاعر أديب، وأن الثالث يمثل المزاج الفني فهو شاعر فنان... هذا التقسيم واضح كل الوضوح في الأدب المصري الحديث كما هو واضح كل الوضوح في الأدب الفرنسي الحديث: أندريه جيد وفرانسوا مورياك كلاهما نموذج لهذا القصاص الأديب، وجان بول سارتر وبول كلوديل كلاهما نموذج لهذا القصاص المفكر، وجان كوكتو وجان أنوي كلاهما نموذج لهذا القصاص الفنان!

إن الشعر ومضة وانتفاضة.. ومضة يتلقاها الشعراء جميعاً، ولكن فيهم من يتلقاها بانتفاضة الذهن وحده، وفيهم من يتلقاها بانتفاضة الحس وحده، وفيهم من يتلقاها بانتفاضة الذهن والحس والشعور في وقت واحد. ونفرق نحن بين هذه الألوان من الانتفاضات في محاولة فنية تهدف من ورائها إلى استشفاف «الحقيقة الشعرية» من خلال أثوابها الكاشفة، وننتهي إلى أن حقيقة الشاعر الأول صاحب الانتفاضة الأولى هي «وجهة نظر» فكرية، وهذا هو العقاد. وإلى أن حقيقة الشاعر الثاني صاحب الانتفاضة الثانية هي «وجهة نظر» أدبية، وهذا هو عزيز أباظة. وإلى أن حقيقة الشاعر الثالث صاحب الانتفاضة الثالثة هي «وجهة نظر» فنية، وهذا هو علي طه — وهكذا نجد مزاج الشاعر المفكر، ومزاج الشاعر الأديب، ومزاج الشاعر الفنان!!

هذا هو رأيي الأخير الذي أقدمه للأديب السوري الفاضل

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

ردوا على الأزهر كرامته :

كادت كلية اللغة العربية فى هذه الأيام الأخيرة أن تتسم بطابع وزارة المعارف ومن علامات هذه الظاهرة عقد مسابقات لقبول الطلبة الراغبين فى الانتساب إليها تحت إشراف الوزارة ، وتعديل مناهج التعليم على النحو الذى أرتئى فى كلية دار العلوم .

ورسالة الأزهر - كما نعلم جميعاً - هى المحافظة على كيان العلوم الإسلامية ، والعمل على نشرها فى جميع بقاع العالم على لسان أبنائه الأزهريين ، أو بأقلامهم السيالة المؤمنة . ولا يخفى ما للغة العربية من أثر فى تأدية هذه الرسالة على وجهها إذ هى الأداة الوحيدة فى تفهم لغة السماء المقدسة ، وفى هدى النصوص الحائرة فى ضباب الأوهام والجهالة ، وتصحيح مدلولاتها الإلهية . وقد الأزهر لكلية اللغة العربية ليس إلا افتقاد دعامة متينة من بنيانه مما يخل بتأدية هذه الرسالة المقدسة ، وإندراجها تحت إشراف وزارة المعارف فى الوقت الذى ينادى فيه بعض ذوى الرأى من رجالات التعليم بوجوب انفصال الجامعة المصرية عن الوزارة ، واعتبارها هيئة قائمة بذاتها ، إذ أن فى وضعها الحالى غضاً كبيراً من كرامتها كدار يدرس فيها لأرقى أنواع الطبقات المثقفة فى مصر .

وإذا كان الطلاب الأزهريون يضيقون من هذه الأوضاع الراهنة بنفس الطرف عما يترتب عليها من نتائج غير مرضية لأنهم إنما ينظرون بعين السادة ، فما الداعى لرضاء أولى الأمر فيه والقائمين عليه .. !! الأمر الذى يوشك أن يحرم الأزهر من حرمته وقدسيته ؟

أنا لا أتهم الأزهرى النابه يتطلع بعكس من أزهريته ، ويتمرد على أزهره ، وإنما أتهمه يتمرد بمجده وشرفه ، وينادى بجدهم بناء مكانته العلمية والأدبية ، ويطالب فى إباء وشمم أولياء الأمر من أساتذة الأزهريين بتعديل أساليب الدراسة ، ومناهج التدريس كما يتفق وروح العصر ، ومسايرة العالم فى تطوراته وأحداثه ، ويجاراه كثير مما يجار بتدريس اللغات الأجنبية دراسة وافية عميقة . !! ومتى اكتملت للأزهر الشريف هذه النواحى استطاع بجدارة أن يشغل مكانة ممتازة بين الهيئات العلمية المحترمة . وأن يؤدى رسالته المقدسة بكل أمانة فى كل مكان . !!

إن عقد مسابقات لقبول بكلية اللغة العربية معناه حرمان كثير من ذوى الميول الطبيعية ، والاستعدادات الفطرية ، من تمكينهم من تنمية ملكاتهم وتنمية مواهبهم !! وعقدها تحت إشراف رجال الوزارة معناه عدم ثقة رجال المعارف الوزاريين الصريح فى كفاءة الأزهرى ومقدرته العلمية ، وحرمات أزهره ، واعتراف رجال الأزهر بذلك ، معناه فقد الأزهر جزءاً حيا من أجزائه وهدم ركن شديد من بنيانه .. !!

إن الأزهر ليستصرخ باسم الدين الغيورين من رجاله أن يردوا عليه كرامته ؟ وأن ينقذوه من هذا الجمود البغيض ، ويسايروا به موكب الحياة العلمية المتوثبة ، وتقدم العصر المطرد وحينئذ يستطيع الأزهر أن يحمل بجدارة مشاعل العلم والنور والحرية .. !!

كلية اللغة العربية — نيازى على مرزوق

وردت إلى هذه الكلمة بعنوانها المثبت على رأسها ، وهى كلمة حق ، والموضوع الذى تعرض له موضوع خطير ، لأنه يتصل بكيان الأزهر الذى يجب أن يبقى مستقلا بمقوماته وخصائصه ، ذلك الكيان الذى نراه مهدداً بالتيارات التى تحدث عنها الأديب الفاضل نيازى على مرزوق .

والواقع الصريح أن أصل الموضوع هو عدم ثقة وزارة المعارف بحسن إعداد الطلبة فى كلية اللغة العربية ، لأنها ترى أسس التعليم فى الأزهر غير متمشية مع طرائقها التربوية ، وهى فى الوقت نفسه تحتاج إلى خريجين لتدريس اللغة العربية والدين الإسلامى بالمدارس

شغفها على كأنه عن الشاعر مرزا باظة ، ولا أريد أن أفرض هذا الرأى عليه ولا على غيره من الأدباء .. إن للأستاذ الأرناؤوط مطلق الحرية فى أن يحتفظ بآرائه الخاصة حول هذا الشعر ، كما يهديه إليها ذوقه الخاص وموازينه الفنية ، وله منى خالص الود وسابق التقدير .

أنور المعداوى

وهؤلاء الخريجون أنفسهم يطالبون بذلك. فالوزارات تريد أن تطمئن إليهم في تأدية هذا العمل على الوجه المرضي، فهي تعمل على المشاركة في إعدادهم وامتحانهم.

فهل ذلك الاتجاه من صالح الأزهر باعتباره جامعة لها كيانها وكرامتها ومقوماتها الأصيلة؟ لا شك أن خريجي الأزهر وطلبته الذين يريدون الخروج من النطاق الأزهري وغزو البيئات الأخرى، هم الذين يدفعون بالأزهر إلى ذلك الوضع، ولأنفسهم يبغون الخير، وهم يريدون تنويع ثقافتهم، والأزهر يقف معهم عند حدوده، فهم يتوسلون بالأزهر إلى ما يريدون، ورؤساء الأزهر يسيرون مع تيارهم، لأنه تيار جارف لا يستطيعون الوقوف في سبيله.

والواقع الصريح كذلك أن كثيراً من طلبة الأزهر نشأوا فيه بغير إرادتهم، وكثير منهم يضيقون به عند ما تلوح لهم مظاهر الحياة العصرية التي يعزلهم عنها الأزهر، فيلتمسون أي سبيل للخروج منه، كما يلتمسون أية صفة أخرى تغطي على أزهريتهم، وذلك مثل بعض المتخرجين الذين لحقوا بمعهد

كشكول الأسبوع

■ افتتحت يوم الأربعاء الماضي بدار الأوبرا الملكية، حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية التي نظمتها هيئة الأمم المتحدة لبحث المشاكل الاجتماعية التي تهم هذه البلاد. وموضوع هذه الدورة دراسة مسائل التي تتصل بالريف في بلاد العرب. وقد تفضل جلالة الملك فأوفد مندوباً عن جلالته في هذا الافتتاح. ويشترك في الحلقة وفود من العراق ولبنان والمملكة السعودية وسوريا وشرق الأردن واليمن، وفيها مندوبون مستمعون من تركيا والباكستان والولايات المتحدة وإنجلترا وفرنسا.

■ تقرر تحديد أسبوع يبدأ من ٢٧ ديسمبر إلى ٣ يناير القادمين، للاحتفال بمرور ٧٥ عاماً على إنشاء الجمعية الجغرافية الملكية، وافتتاح معهد فؤاد الأول للصحراء، ويتضمن برنامج هذا الاحتفال جلسات علمية، وزيارات لبعض الأماكن التاريخية والعلمية، وحفلات شاي وغداء وعشاء. وسيكون المدعوون من كبار العلماء ورؤساء الفكر الأجانب ضيوفاً على الحكومة المصرية في أثناء الاحتفال، ويقدر عددهم بنحو ١٢٠ من مختلف أنحاء العالم.

■ كتب (...) في العدد ٦٢٠ من «الثقافة» في قصة كتاب «سيرة القاهرة» وجاء في مقاله ما يلي: «كمتطلب في الماء جذوة نار، كما يقول المعري». والواقع أن هذا شطر بيت لأبي الحسن التهامي لا للمعري، والبيت هكذا:

ومكلف الأيام ضد طباعها ... متطلب في الماء جذوة نار

■ صدر أخيراً «سلطان العلماء» للأستاذ كامل محمد عجلان، وهي مسرحية تدور حوادثها حول «عز الدين بن عبد السلام» في آخر عهد الأيوبيين وأول المماليك، وتصور قوة العلماء ومقاومتهم الظلم والطغيان، وهي مسرحية أزهرية لأن المؤلف وضعها لتمثلها فرقة التمثيل في الأزهر، ولذلك اضطر فيها إلى مركب «نقص» إذ جعلها خالية من العنصر النسوي.. لأن رؤساء الأزهر لا يوافقون على أن تظهر امرأة على المسرح الأزهري.. والفرقة طبيعة الحال كلها «مشايخ».

■ قرأت في إحدى الصحف أن أهل شمال إفريقية يشكون من ضعف موجات الإذاعة المصرية وعدم تمكنهم من سماعها. ألا ليتنا في شمال إفريقية!

المدنية وتخرجوا فيه، ثم يحرصون على أن يكتبوا تحت أسمائهم الصفة الجديدة فقط.

ولا بأس بالاستطراد إلى أمر آخر يجري إليه هؤلاء الضائقون بأزهريتهم، وهو ما يقول به بعض المصلحين من الأزهريين وغيرهم، من قصر التعليم على الكبار واستبعاد الطلبة من التعليم العام، فإني أرى أن الطالب الذي يتجه إلى الأزهر، أعني الكبار، يتجه إليه برغبة، ويختاره عن عقيدة، فيكون الأزهري المقتنع بأزهريته، بل المعتز بها.

ونعود بعد هذا الاستطراد القصير إلى موضوعنا الأصلي، فنحرر المسألة على الوضع التالي: لا بد لخريجي الأزهر أن ينالوا ما يناسبهم من وظائف الدولة، وخاصة أن هذه الوظائف تحتاج إليهم، ولكن ليس معنى ذلك أن يفقد الأزهر شخصيته، وتمحى وتذوب صبغته، وأعتقد أن ما حدث كان لا بد منه، ولم يكن هناك من سبيل غيره لإقناع وزارة المعارف، ولكني أعتقد كذلك أنها كانت مرحلة انتقال، وحان الآن إنهاؤها. والدور الآن على رؤساء الأزهر، فواجبهم أن يردوا عليه كرامته، على حد تعبير

السيد نيازي ، فيعملوا على إصلاحه وتقويته بحيث يقتنع الجميع بأنه قوي بقادته وأن أحسن أهل ١١ يناسبهم من الأعمال دون مشاركة أحد في إعدادهم .

وحين يبلغ الأزهر ذلك البلغ الذي نرجوه له ، لا نرى خريجي الأزهر يطالبون — مثلا — بالالتحاق بمعهد التربية لأن تخصص التدريس في الأزهر ليس أقل شأناً من معهد التربية ، ولا نرى — مثلا أيضا — كلية اللغة العربية تطالب كلية دار العلوم بأن ترد عليها الناجحين منها ، بتوحيد امتحان القبول في الكليتين واقتسام الناجحين ، لأن كلية اللغة العربية لن تكون أقل إغراء من دار العلوم .

تأبين عجيب :

احتفلت نقابة الصحفيين يوم الخميس الماضي ، بتأبين الكاتب الصحفي المرحوم الأستاذ عبد الحميد حمدي ، وقد أبنه جماعة من الزملاء الصحفيين هم الأساتذة حافظ محمود ومحمد مصطفى حمام وحسن صبحي وعبد الرحمن البيسري وعبد العزيز البكري والسيدة منيرة ثابت . أما الأستاذ حافظ محمود فكانت كلمته مناسبة ووفت بحق الفقيد من حيث جهوده الصحفية ومودته لزملائه ، وإن كان قد أساء إلى الخليل وسيبويه وغيرهما من علماء النحو واللغة ، بالإفاضة في الأخطاء . وأما الأستاذ حمام فقد جرى على عادته في كتابة أبيات الرثاء على ماسة السجار طول إلقائها دقائق معدودات ومن الأبيات التي قالها في الفقيد :

مضى لم تدله الحياة فلا تقل لكل مجد في الحياة نصيبه

رأيته لهذا لم يجد في إعداد قصيدة للرثاء .

وكان حمام موفقاً صادقاً في قوله :

وأعدمها من مستطاب بيانه وما أنتجه بالذي يستطيبه

فهذا ينطبق على الكثير من أصحاب الأقلام في هذا البلد ، يشبعون الناس أدبا وبيانا ولا يجدون لقاء ذلك مكافأة وتقديرا ، وقد يتركون من بعدهم من يحتاج إلى الاكتتاب لهم ، كما حدث في هذا الاحتفال ، إذ أعلنت ذلك السيدة منيرة ثابت عطفا على أرملة الفقيد !!

وما أكثر العجب بعد ذلك ، فقد اتهم الأستاذ البيسري الفقيد بأنه كان داعية للإنجليز ! وقال إنه أفضى إليه مرة بأنه من ذلك .. وقد كان الأستاذ عبد الحميد حمدي رئيس الترجمة بالسفارة البريطانية .

وقد أصلح الأستاذ حسن صبحي ما قاله البيسري ، إذ وجه علاقة عبد الحميد حمدي بالإنجليز ، بأن خدماته للسفارة كانت في وقت تتعاون فيه مصر مع بريطانيا وكان الجو بينهما مشبعا بروح الصداقة .

وأما الأستاذ البكري فقد هنأ الفقيد بوفاته .. وحمل على الحياة وغنى للأحياء أطيب التمنيات بمفارقتها !

وأما السيدة منيرة ثابت فقد أشادت بجهود الفقيد في مناصرة النهضة النسوية والدفاع عن حقوق المرأة ، ونوهت بأن ذلك كان أيام الصبا والجمال ! وحدث تواضع منها ، فنحن لا نزال ! !

وحضر الحفلة طائفة من السيدات من زعيمات الحركة النسوية ، وقد لوحظ أنهن انصرفن قبل قراءة القرآن الكريم في الختام ، إذ قال القارئ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، حتى نهضن منصرفات ، والآنستان يحق الانصراف ، هل كن يبقين لو اختتمت الحفلة بشكوكو . ؟

من أدب المجالس :

في مكتبة الكيلاني بفندق — يوم السبت من كل أسبوع — جماعة أكثرهم من المشتغلين بالشؤون السياسية ، وهم مع ذلك لا يتحدثون في السياسة ... كأنهم جاءوا إلى هذه الندوة ليريحوا عقولهم من ذلك العناء ، فلا تسمع إلا طرفة من هذا وملحة من ذاك ، تبين في تفكيرهم خواطر الأدباء ، وفي حديثهم طلاوة الأدب ، وإن لم تدركهم الحرفة ... يتوسطهم المحدث اللبق الأستاذ كامل كيلاني ، يدير عليهم كؤوس السلاف من حديثه الممتع ، إلى جانب أكواب القرفة والتمر هندي ...

وفي الجلسة الماضية حلا للقوم موضوع الجرس الواقع المعنى في أدب العرب ، واشترك في الحديث الأساتذة علي الجزايرلي باشا وجمال الدين أباظة بك وأحمد حلمي باشا والحاج أمين الحسيني وحقي النظام بك وسامي النظام بك وعوض حساب

رسالة الفن

مسرحية ابن جلا

نقد وتحليل

للأستاذ حبيب الزحلاوي

خطوة جريئة يخطوها الأديب الكبير الأستاذ محمود بك تيمور في بناء الرواية التمثيلية ، والخطوة عندي على ما فيها من جرأة تدل على روح فنان موهوب ونفس ثائرة لا يرضيها المشي في طريق مسلوك ، بل هي تواقة إلى تعبيد طريق جديد يجد السائر فيه كل ما يبهج ويفرح

أحييت عمل الصديق تيمور خطوة جريئة ولم أسمها متمردة ، لأن عاطفا مثله يتردد في المحافظة على سلوك المحافظين ومن « الإتيكيت » لا يتحرف عنها في حياته الخاصة إلا حيثما يجبره إخوانه الأدباء على الالتفاف حول مائدة التريد ، وإن خروجه في رواية ابن جلا ، على التاريخ بشده وبشده وبكيفه تكييفا خاصا وفق مراح الفنان ، بضرب بالقيود التاريخية ، وبهمل الوقائع والأسانيد والنصوص والبيانات الرسمية وتحفوظات وما إليها من عدة ثقات المؤرخين وكتب كتب التاريخ ، إن خروجا كهذا لا يمكن أن نسميه بالخطوة الجريئة ، ولا ننعته بالتمرد ، بل يحسن أن نسميه فتحا جديدا في فن الرواية العربي

تصدى الأستاذ تيمور في العام الماضي لشخصية أدبية خالدة في تاريخ الأدب هي شخصية بارزة في الإسلام تتحلى بأوفر خصائص الرجل العظيم وصفاته ، هي شخصية الحجاج بن يوسف الثقفي ، وإن التعرض لشخصية خالدة وإخراجها على مسرح التمثيل لا يخلو قط من ضرورة خلف الجسر اللازم لروح العصر

بك والأستاذ الكيلاني . روى راويهم قول ابن الرومي :

من بنات الروم لا يكذبنا ... لونها المشرق عن منصبها
فهي حسب العين من نزهتها ... وهي حسب الأذن من مطربها
وإذا قامت إلى مائها ... كمهاة الرمل في ربربها
سالت أرماقها أعطافها ... حل وأت أوطأ من مركبها

— إن الألفاظ تتمازج وتختال كأنما تتكون صورة متحركة لتلك « البنت » الرومية

— استمع إلى الموسيقى الناشئة في قول ابن الرومي أيضا :

ويح العواقب مالها سقمت ... حتى كأني كنت سقمتها
ألم تكن ميلا فقومتها ... ألم تكن عوجا فثقفتها

إلى أن يقول :

حرمت في سعي وفي سعيي ... فراي من دنيا تضيفتها
فقل على الدنيا وهل لمثة ... تنصف منا إن ألومتها

— وكذلك في قول الله تعالى : « أم من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن » أين من هذا التقاطع القوية أن يقال : من ينصركم من دون الرحمن ؟

— مما يتصل بحسن التنسق بين الأجزاء قول الشاعر :

مرت بنا في ثوبان أخضر ... يمشي منها بعضها بعضا
ولم أر أبدع في التناسق من أن يمشي كل عضو عضوا

روى جمال الدين أباظة بك عن الدكتور طه حسين بك أنه فسر « الخرطوم » بـ (الشمزت)

— ليت شعري ماذا كان يقول الشاعر لو رأى من عندنا من لابسات (الشمزت) الحديث ؟

— لم يكن يقول شيئا ، فقد ألفنا كثرتهن حتى أصبح منظرهن شيئا عاديا لا يحفز على التنزل لهن !

عباس خضر

والبيئة التي عاش فيها صاحب الشخصية، والاتصال به من مكان وسماء وملابسات، ورواته إلى مسلاته أو نقل ما يناقضها من ظروف وصدف ومفاجآت، بل لا بد من السير في حدود حددها التاريخ ضمن نطاق محاط بسور من القدسية هي أمنع من الحصن، ولكن الأستاذ تيمور بروايته التي افتتحت بها «فرقة المسرح المصري» حياتها قد ابتعد من كل ماله صلة بالتسلسل التاريخي وتناول «شخصية» البطل الذي خلق التاريخ وأطل عليها من نواحيات عدة ثم أرانا إياها مرة واضحة أو سافرة أو محجبة بحجاب كثيف، ومرة يحوطها بنقاب ستر أو شفاف، وبكلمة أوضح جعل أعمال البطل تدل عليه، وتصرفاته تنم على شخصيته

هو ذا الفتح الجديد في فن الرواية التمثيلية الذي عنيت. وهو فتح يساير روح العصر في الدرس والتحليل والاستقراء والاستنتاج، وفي الغوص على النفس يفتش المكنون في أعماقها يحل العقد فيها، ويبسط بواعث الانفعالات، ويلاحظ ويدقق في ملاحظة أسباب انفعالاتها ونتائج الانفعالات

على هذا النحو من التأثر بروح العصر، وعلى هذا الضرب من مسايرة علم النفس أراد الأستاذ تيمور أن يقدم شخصية الحجاج أمام الجمهور، ولكن هل استطاع التوفيق بين ما أراده وبين ما أرانا إياه؟ هل صورة الحجاج التي رسمها لنا تمثل الحقيقة من حياة الرجل أم هي خيالات نفخ فيها من روحه هو ولم يقو على أن يبعث فيها روحاً سامياً؟ هل تصرفات الحجاج في حياته جاءت مطابقة لما هو وارد في كتب التاريخ وسير أعلام الإسلام، أو أن للمؤلف رأياً بدافع من دوافع أصول الفن المسرحي أن يجعل خطوط حياة الحجاج مرة بارزة واضحة ومرة أخرى مستترة وراء ستار شفاف أحياناً لاهتمام النظارة وجذباً لأنظارهم؟

عرف الحجاج بالبلاغة الخطابية، والإرادة الصارمة، والشدة القاتلة، والحزم، والحرص على النظام، فأي صفة من هذه الصفات لم يعطها المؤلف حقها من الإيضاح وأي منها لم تنله كاملاً؟ وهل الصورة التي علقت في ذهن الشاهد العادي هي صورة صادقة للحجاج، أو هي قريبة من الصدق، أو هي مشوهة؟

يحسن أن ألفت النظر إلى أن الأستاذ محمود بك تيمور هو من أعضاء المجمع اللغوي، وإن مثله وهو سائر في قدام الخالقين لابد أن تكون اللغة طيعة له لينة، أضف إلى ذلك أن من أبرز سماته الأدبية كتابة القصة، وأن لا بعيد للناس من الاتصال مع نفسه فيكون قصصياً روائياً، شاعراً وليناً، عبوساً وباشاً عند الحاجة، ولابد له من القدرة على تقمص روح المتكلم فيكون كلامه كالملوك أو كالسوقة، كالعلماء أو كالجهلاء، كالمزارعين وعامة الدهماء، يهبط أو يرتفع مع كل طبقة من الناس حسب تفكيرها وتعابيرها ومصطلحاتها، بشكل تعكس المرآة بصدق أحاسيسها وشعورها ومدى خيالها وأطماعها، وقد نرى في بعض مؤلفات الأستاذ تيمور ما يؤكد قدرته على ذلك، فهل استطاع في هذه المرة أن يسمو بحديثه إلى بلاغة الحجاج وفصاحته أو أنه التزم لغة المسرح في السهولة والبساطة؟

نميل إلى أن الأستاذ قد تأثر كثيراً بما قرأ من خطب الحجاج وسيرته وأقواله وأحاديثه، وأن بعض تأثره قد تبخر يوم سود أفكاره بالقلم، وأن صديقه وصديقنا الأستاذ زكي طليمات قد أخذ بتلابيبه رده من الحجاج وبالغ فيه في حرب التزام مستوى الجماهير، فالحجاج الذي سمعناه يتكلم على المسرح، لم يكن بليغاً بل كان فصيحاً، طلق اللسان، واضح البيان، حاضر البديهة، سريع الخاطر، قوي الحجة، صادق الحس، لا يعلو كثيراً في التفكير، وفي التعبير، وفي المصطلحات اللفظية، وفي تركيب الجمل، وفي التشبيه والاستعارة والاقتباس عن مستوى الطبقة النازلة لا الطبقة المثقفة

لقد استطاع الأستاذ تيمور أن يرينا صوراً حية لحرص الحجاج على النظام، وعلى «غيرته» الشدة الصارمة المتطور عليها، وعلى دعوته رغبة الشدة الأصيلة فيه بافتعال المتناقضات إذ كان يطعم الجائع لا عن جود وكرم بل عن دعاية نفسية فيه تلزم الأكل أن يأكل صدراً من الصحاب إلى عمر في ازدرادها

ما يرفع سيف الجلاد . ومن أروع صور شدة الحجاج وحرصه على الأناة طرده للفرى الذي عاط عليهن فكان جزاءه السجن لا يبرح عنه حتى يستوى من حفظ سور القرآن . أما قوة الإرادة وعدم الانصياع لأمر والنفور من كلة تمس الأمر فقد كانت تقضيه وتأثيره إلى حد أنه كان ينفض ثيابه ويديه منها كأنها علقت بها ، وكان لا يطيع أمر الطبيب ويرميه ويأبى تناول الدواء لأنه فرض مفروض ، وقد أجاد الأستاذ تيمور في إبراز هذه الصور واستحقاقه

بقيت مسألة أقف منها موقف المعجب بها والمستغرب بصحتها وهي هل كان الحجاج منهماً شهوانياً ، وهل حكاية تعلقه بالفتاة « الأهوازية » وكلفه بها ، ولجاجته في الشكوى منها ، وافتقادها إذا هجرته وعادته ، والسؤال عنها لم تكن قريبة دافعة منه ، وكان يرتاح لخصامها ؟

ليس يستنكر أن تكون « رأس الحكمة إشباع المعدة » عند رجل عبقري كالحجاج ، وليس يستبعد أن يكون شرها في مناوحة المرأة ، ولا يستغرب أن يكلف بامرأة مفطورة على الاتدد محبة للعظمة والكبرياء ، مولعة في الفخار ، مشغوفة بالاستعلاء بشخصيتها لتنحدر في إظهار أنوثتها وهي مقهورة . إن حملة الاندد وحدها كافية لأن تجعل الحجاج الجبار « العنيد » القاتل كس القاتل الذي لا يرحم ، يكلف بهذه القطة الأهوازية يهاوشها فتخمشه وتدميه ، ويمسح شعرها فتعضه وتؤذيه : فكيف بها امرأة جميلة ، وصبية بضة لا يقوى سواها من دون خلق الله أن يقف منه بجانبه ويعانده ويعنفه ثم يرى بين يديه يقبل جبينه بجموح الحب والارتماء في أحضان الحب

لا شك أن الحجاج كان نهماً جشعاً يساير طبيعة الإنسان أي تحقيق غايته الأولى من وجوده وهي « الشبع » ولا ريب أنه يرغب في المرأة رغبة من كان قلبه لا يطيق التقييد ، وبذلك أيضاً يساير الطبيعة الإنسانية ولا يعطل غايتها الإنسانية من وجودها ، فعزوف الحجاج عن المرأة مرده إلى انشغاله في توطيد الملك ومقاتلة خصومه يدلنا على ذلك ردّه « عفراء » رفيقة طفولته في كثير من الخشونة وعدم المبالاة . أما سعيه إلى التقيد بالزواج إنما هو سعي الوضيع الذي يطلب الرفعة والجاه من طريق مصاهرة الماضيين .

أما حكاية الفتاة « الأهوازية » التي لفقها المرحوم جرجي زيدان واقتبسها الأستاذ تيمور إنما هي حكاية لم أجد ما يؤيدها مما قرأت مما كتب عن الحجاج ، وأرى أن الحق في جانب زيدان الروائي لا المؤرخ في تلفيق ما يجذب القارئ ويشوقه إلى قراءة فصول الرواية ، وكذلك أجد أن من الواجب أن أشكر الأستاذ تيمور على اقتباسه تلك الحكاية واحتضانها وتجسيمها بجعلها المحور المركز على قاعدتين ، الحجاج من جانب ، والأهوازية من جانب آخر

لا ينبغي حيال هذه الخطوة البارعة في جعل « شخصية » البطل هي التي أصوب عليها أنوار التحليل النفسي ، وبذلك يشترك المشاهد مع المؤلف في تمييز ما يمكن وما لا يمكن من أمور النفس الإنسانية ، وأن يلزم المؤلف المشاهد على ما يستطيع عليه من كنوز الرواية لتكون زاداً لعقله وتفكيره .

* * *

هل رأيت ديكا فتيا يمد عنقه ، ويمد جناحيه ، ينقل كفا ويجب ، ويدفع الأخرى نفيه ، ثم يقف فيطلق صيحة مداسة تتفتح لها أفئدة الدجاجات وجوارحها ؟

كان هذا الديك الفتاه هو صديقنا الأستاذ زكي طليمات ، في الحجاج بن يوسف الثقفي على مسرح الأوبرا ، ولكنه لم يكن ديكا صبا لا بين دجاجات تبيض ، بل كان يتيه بين أتراب صغار زعيمهم ذهبي ناعم ، وتزقزقهم خافقة رنانة .

إني لأنعى أن أراهم نياعين صواليين يجذب حبالهم في ميدان المسرح الجديد أضعافنا وأشدنا .

* * *

كنت في صحبة الكريم حضرة صاحب العزة الأستاذ

أحمد رمزي بك العالم المؤرخ والمدير العام لمصلحة الاقتصاد الدولي وقد شاهدنا تمثيل روايتي «شجرة الدر» لعزيز باشا أباظة و «ابن جلا» للأستاذ محمود بك تيمور فاستوقفه بعض من الإخراج ويوم ملابس الممثلين وقد قال ما نصه

«الإخراج فن لا يزال بدائياً في مصر، وهو فن من أصعب الفنون وخصوصاً إذا تعرض لإخراج الروايات التاريخية.

وإني لا أعد مخرجي روايتي «شجرة الدر» و «ابن جلا» موفقين فيهما، لأن الذي يتعرض لمثل هذه الأمور يجب أن يكون لديه ثقافة وافرة، واطلاع عميق على النصوص التاريخية، وعلى علم الآثار الإسلامية، والمخطوط، ويهم الملابس والإشارات والأسلحة والأثاث والعمار الذي يوجد كل عصر

وأجد أن كل عصر إسلامي يمتاز عن الآخر بميزة خاصة تميزه عن كل هذه النواحي، وأن كل مئة سنة تحتاج إلى رجل مختص يساعد المخرجين على تفهم الأمور التي أشرت إليها وكيف كانت في ذلك العصر

والملابس التي أخرجت بها شجرة الدر لا تمت بصلة إلى عصر المماليك، والملابس التي أخرجت بها رواية الحجاج لا تمت بصلة إلى العصر الذي عاش فيه الحجاج. والأدلة على ذلك كثيرة، مثال ذلك، الأعلام التي جاءت في رواية الحجاج كتبت بالخط النسخ وهو لم يكن موجوداً في ذلك العصر، وكتبت بالخط الكوفي في رواية شجرة الدر بينما كان العكس هو الواجب أن يتبع

ومن أغرب ما شاهدت أن يرسم في وسط معسكر الحجاج علم عليه الشاليش التركي، وهي عادة جاءت في أواسط آسيا بعد قيام الدولة السلجوقية، فالأتراك هم أول من استعمل أذناب الخيل على الأعلام والصناجق وسموه «الشاليش» وأخذت به جميع الدول التركية سواء كالأتراك الأيوبيين والأتابكة أو سلاطين الأتراك في الدولتين البحرية والبرجية بمصر

ولا شك في أن إخراج الجند الشامي بملابس عسكرية من ملابس القرن العشرين أمر مضحك. كذلك رئيس الشرطة أو قائد الجند الذي كان يلبس ألبسة تشبه ملابس القواد في الجيش الإيراني أيام مظفر شاه، أما ألبسة الحجاج فكانت مجموعة من أغرب ما رأيت

مسكين الحجاج جمع بين عصور المغول والفرس والهنود والانكشارية فكان إخراجاً يدعو إلى الدهشة والعجب، فقد لبس ألبسة العصور جميعاً غير عصره. وأغرب من ذلك أن نقل له الشعور تحت العمامة وهي عادة لم يعرفها عصره. وإنما جاءت بعد ذلك. وأعظم من هذا أن يلبس قلنسوة فارسية عليها عمامة ويظهر آناً تحت خافقة حمراء لم تعرف إلا أيام تيمورلنك

أما بقية الممثلين فلا تمت بصلة إلى ذلك العصر بتاتاً، بل هي عمائم عرفت في العصور المتأخرة، عصور العثمانيين. ولو شئنا التحدث عن الأسلحة والأعلام وشارات الملك والجند وما كان يلبسه الناس في أقدامهم لتبين القارئ أن المخرج بعيد عن فن الإخراج ولا يعرف شيئاً عن عصر الحجاج ولا عن عصر شجرة الدر. والظاهر أنه يفهم هذه العصور على طريقة عامة بدليل أنه وضع في خيمة الحجاج درعين وسيفين معلقين على قاعدة حمراء على هيئة ارموك، وهذه أيضاً لم تعرف بعصر الحجاج ولم يأت لها ذكر إلا بعد ذلك بقرون

أما السيوف والأسلحة فليست من ذلك العهد بتاتاً

ويوجد في متحف استامبول مجموعة من السيوف القديمة التي استولى عليها العثمانيون من خزائن السلاح المصرية في قلاع مصر وقلاع الشام يقول بعض أهل التحقيق إن فيها ما يمكن حسبه من أسلحة الأمويين، فيحسن بالمخرجين أن يرجعوا لأهل الاختصاص في الملابس والدروع والأسلحة والعمائم وكل ما يتعلق بأي عصر من العصور معتمدين على النصوص التاريخية، وعلى الملابس، وعلم الأسلحة، وفن العمار وكل ما يتعلق بالمخطوط وقراءتها. وعلم الآثار حتى لا تخرج دار الأوبرا الملكية منظراً في القرن الأول الهجري يمثل مسماراً أندلسياً أو صورة من مبان

البريد الأدبي

حكاية سمار العمرة :

أتى إلى البريد كتاباً طواه صاحبه على دعوة لتكريم « مدير الصاحة » المرقى إلى « وظيفة » أعلى ، وكان من البديهي أن أجامل صديقي صاحب الدعوة ، حيث لا علاقة بيني وبين هذا المدير ، ولو بالسماع !

ولما شخص مكان الحفل ، إذا بكراسي مصفوفة ، وموائد مرصونة ، فوقها زهر حي ، وطعام شهي ، وشراب روي ، حتى إذا أكل القوم سريعاً ، وشربوا هنيئاً ، وقف خطباؤهم يتبارون في المنظوم والمنثور ، فأجادوا وأفادوا ، وقد حشدوا على « المدير المنقول » نعوتاً من إقدام عمرو وسماحة حاتم وحلم أحنف وذكاء إياس !

وكان يجلس إلى جانبي رجل عرف بالحصافة والرزانة ، فلويت إليه عنقي دهشة ، وقلت له : إ أحقاً إن بعض هذه الأوصاف أسبغت على نابليون ، وبعضها يصدق على بسمارك ، وهي في جانبها أصبح لو وصف بها عمر بن الخطاب ؟

فدهش بقوله : لا عليك ، فهذا قول محفوظ ووِرد منظوم ، يتلى عند وداع كل رئيس وعند استقبال كل رئيس ، لا يتغير فيه سوى الأسماء !

ثم سألت صاحبي الزكي الحصيف : ترى لو كان هذا « المدير » أحيل إلى المعاش – مثلاً – ولم يرق إلى منصب أعلى ، أكان يقام له مثل هذا الحفل الرائق ، ويقال فيه مثل هذا الكلام المعسول ؟ فتململ على الفور : ويحك من الإحراج ! أو لم تسمع حكاية « حمار السمدة » آغات : هناك تستشهد . قال الزكي الحصيف : عندنا في الريف حكاية تهكمية مؤداها أنه حين ينفق حمار السمدة ، يتبادر أهل القرية جميعاً لتعزيته في حماره النشيط الذي ضرب بحسن أخلاقه المثل ، فلم يرفس ، ولم يركل ، ولم يعض !

... فإذا قضى الله ومات السمدة ذاته ، لم يذهب أحد لتعزية أهله ، وإنما يتزاحمون على باب السمدة الرقوب !

قلت آمنت بالله !

منصور جاب الله

نظرة تحليلية في مقال :

قرأت في العدد ٩٠٤ من مجلة الرسالة الزاهرة مقالاً للأستاذ علي العماري بعنوان (دم الحسين) والشيء الذي يوجب الاستغراب ويبعث الدهشة في النفس هو قوله (الفارس الذي منع الماء مات عطشان بالرغم من أنه كان يسقى الماء حتى يبهر ثم يعود فيشرب حتى يبهر وما زال كذلك حتى لفظ أنفاسه والشقى بحر بن كعب وقد سلب الحسين لباسه – كانت يداه في الشتاء تنضحان الماء) إلى غير ذلك من الخزعبلات والأباطيل التي تأباها العقول وتلفظها الألباب وتدحضها الوقائع وتكذبها الرواية

لقد مات إبراهيم بن محمد صلى الله عليه وسلم طفلاً ، ورسول الله حتى اخضلت لحيته بالدموع ثم حمل إبراهيم ليدفن في البقيع ولم يكد الصحابة يغادرون البقيع حتى انكسفت الشمس فظن بعضهم أن الكون قد شاركهم في المصيبة وأن انكساف الشمس إعلان الحزن على إبراهيم . ولما بلغ توهمهم النبي صلى الله عليه وسلم أنكره قائلاً (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته) فقد أثبت بهذا القول الأبسط الاحتفاء

تحول البلابل الغناطيس وهو طراز من الغناء جاء بعد المصباح بأكثر من قرنين »

وللأستاذ العالم رمزي بك ملاحظات أخرى على الإلقاء والترتيل ، ومخارج الحروف ، وقت النطق وغير ذلك من الملاحظات ليته يتفضل بإتحاف قراء الرسالة بشيء منها خدمة للغة العربية الفصحى التي نعرف مقدار حرصه على سلامتها

حبيب الزحلاوي

البخاري أن الرسول عليه الصلاة والسلام لو كان حياً بعد قتل الحسين ولو آمنا بما سطره لنا التاريخ من روايات وما امتدت به أيدي المؤرخين في زمن الدولة العباسية بسبب بغضهم لبني أمية أقول لو آمنا بما قيل في هذه الرواية لكان قول الرسول بأن ليس هناك من يموت عطشان بإرم من أنه يبكي الناس من أجل قتل الحسين كما أن الشمس لم تنكسف من أجل وفاة إبراهيم

لقد كانت هذه الرواية موضع استهجان نخبة ممتازة من الشباب المثقف في مجالسهم الخاصة وقد لاموا الرسالة المجلة الراقية على عدم تمييزهم لنشرها مثل هذه الأسطورة.

بغداد — عبد الخالق عبد الرحمن

(١) لعله أصيب بمرض الحمية.

تصويب لغوي:

انساق قلم الأستاذ الكبير أحمد الصاوي محمد إلى خطأين لا يحسن السكوت عليهما: —

— فأولاً — ورد في «ساغل وظل» عبارة «يقدم رجلاً ويؤخر رجلاً» مما يوهم أن المثل العربي «أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى» معناه «أراك تقدم رجلاً وتؤخر رجلاً أخرى». والصحيح أن كلمة «أخرى» نعت لكلمة «تارة» المحذوفة، أي أن أصل المثل هو «أراك تقدم رجلاً تارة وتؤخرها تارة أخرى».

— وثانياً — جاء في «إبر النحل» عبارة «معالي الوزير المنصف دكتور طه حسين بك». ولا أدري لماذا آثر الأستاذ التنكير على التعريف في كلمة «دكتور» إلا أن يكون قد انساق انسياقاً وراء لغة العامة والعصمة لله وحده

عبد المجيد عمر

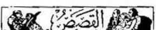
نظرة في مقال:

اعتاد الأستاذ كامل محمود حبيب أن يتحفنا بين الفينة والفينة بمقالاته الرائعة وصوره المشرقة على صفحات الرسالة الزاهرة وكان آخر ما قرأنا له مقالاً بعنوان (هوى على الشاطئ) المنشور في (العدد ٩٠٢) من مجلة الرسالة الغراء ولكن الشيء الذي استرعى انتباهي قوله (.. الدين الذي يبذر في القلب الرهبة ويغرس في النفس الخشوع ويبعث في الروح الخوف ويشيع فيها العجز والاستسلام) ويظهر أن الأستاذ كاملاً يفهم الدين على غير حقيقته. إن الدين قوة روحية لها من الكمال الأسمى قدسية تفيض بالجمال الإلهي فيملأ النفس حباً يسمو على الرغبة والرهبة، حتى كأن النفس صفحة المرآة تنعكس فيه ظلال المعاني السامية فتفيض على الروح روحاً حتى لا تحيا في جسمها ولا تفنى معه. تطل على الحياة معنى تتشوف منه جلال الحياة حتى لا ترى في الحياة شهوة مثيرة، أو رغبة أخاذة أو أملاً لامعاً أو مصيبة مهلكة، وإنما ترى فيها سبيلاً لجناً ومسلكاً إليه من سلك الحياة ومن ورائها الجنة فلا تأخذك الحياة ببأسها أو تغريرها كما لا تأخذ من الحياة إلا ما فيه مصلحة الحياة ولا تهمل منها ما فيه مصلحتها لأنه لم يخلق شيئاً عبثاً.

فالدين بجوهره خلق وتربية غير أنه لا يحتاج إلى ما تحتاجه الأخلاق من قوة مسيطرة وإنما هو القوة المسيطرة على الأخلاق توجهها لأقوم وجهة، فهي نابعة من الذات تراقبها، وللذات قوتها لاعتقادها بأن الله (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور).

إن الدين حق الفرد على الجماعة فلا تعتدي عليه، ولا تنقصه حقه ولا تقيده في حريته، وإنما تنتصف له حتى يكون من ضعفه في أقوى قوة.

إن في الاعتقاد بالله وآخرة ما يبدل الحاجات ويقمع الشهوات ويلجم النزوات وفي هذا ما يثير النظر إلى لذات الحياة فتكون الأخلاق غير الأخلاق، وتكون مع هذه الأرض غير الأرض



السعادة

عن الكاتب البلغاري تيودر يانوف

للأستاذ ماجد فرحان سعيد

لقد كان شاكاً لعيب عارياً فإذا كان ينقصه ؟ السعادة وكان شوقه إليها ينبعه كظله دائماً إلى كل مكان . فإذا ما استيقظ ، شعر كأنما قلبه الخافق رهن قبضته . وكانت الفارابه القديمة (بالأماني) تجوز آفاقاً غريبة عجيبة

ترى ما الذي كان مشوقاً إليه ؟

لقد كان مشوقاً إلى شيء ما . . بل إلى كل شيء !

• • •

كان العندليب يداعب وحماً من الزهر ويشدو عليه أرق الألحان التي كانت رعشاتها اللطيفة كنغم الصباح تهادى لتتلاشى في الآفاق النائية

وكان كل ما عداه هادئاً ؛ كل شيء كان أنفاسه . وأشد السماوات والنجوم والقمر إلى شدوه ، مبهجة رائعة ، وقد أرهفت السمع حتى أنهى مايرا من نغمة الحب والهيام

وفي الفترات التي كان ينقطع فيها العندليب من التغريد ، كانت تجتاح السكون شهقة ذهول وغزل

وأنه ، هكذا كانت الأرض تلفظ أنغامها الرقيقة . وكانت هذه « الأنغام » تحمل إلى الأشجار والأعشاب والنجوم والقمر ، وحتى عداد الثلج على ذرى الجبال البعيدة

كل شيء يأبهه بالسحر المتوج بالأحلام ، وفي تلك الشهوات يكن حنين الهوى الشديد وواصل العندليب غناءه . . . وكانت

كأنها بين ربوة عالية وهاوية سحيقة ، ولهذا قال فولتير الأديب الفرنسي الشهير بالحاده إن الإله شرطي يصون المجتمع حتى ليجب أن نوجده إن لم يكن موجوداً ؟

إن الدين روح الأخلاق وأساس الفضيلة والمجتمع الذي لا يقوم على أساس من دين يهوى إلى الدرك الأسفل من الرذائل .

« بغداد »

ع . ح

تعقيب على تعقيب :

قرأت في مجلة الرسالة الحبيبة رقم ٩٠٤ الكلمة المعنونة « بتعقيب على مقال » للأديب عبد الخالق عبد الرحمن ، يخطىء فيها الأديب الكبير ، أحمد بك رمزي في استعماله كلمة خصيصة قائلا : من هنا يؤخذ بالدباج ولم ينقل عن العرب خصيص بمعنى خصوص ، وأقول إن هذه الكلمة وردت في كلامهم ومشورهم وهي صيغة مبالغة لاسم الفاعل وبمعنى لاسم المفعول .

فقد ورد في الجزء الثامن من لسان العرب ص ٢٩٠ الطبعة الأولى في مادة « خص » ما نصه :

« خصه بالشيء يخصه : خصا وخصوصاً وخصوصية والفتح أفصح وخصيصى . والاسم : الخصوصية والخصوصية والخصية والخاصية والخصيص وهي مد وتقصر عن كراع ، ولا نظير لها إلا المكيثى » انتهى ما ورد باللسان . والألف في هذه الكلمة علامة المؤنث لأن هذه الكلمة مقصورة وزان فعيل وكتب الصرف تؤيد هذا .

حسين سعود دياب

أشعة القمر الحالمة تداعب المنادليب وشجيرات الورد بلطف ورقة، وكانت النجوم تستمع إلى أغنية الهوى، وبابتسامة حنون تشجع الطائر الشاعر قائلة : — « أنشد وغن أيها الحبيب ! »

وإذ كان العندليب مُغرماً في رعشاته الصوتية الندية، كان مبتهجاً أيضاً بسواطعه الترابية الهادئة وإذ سار قلبه يدنو من برعم الوردة أكثر مما كثر، أخذ يتوسل قائلاً : « دعيني أيتها الوردة ! . دعيني أستنشق عبيرك البكر مرة واحدة ! دعيني أدفن رأسي بين وريقاتك القرمزية ! ... »

هكذا واصل العندليب توسلاته، مرسلاً ألحانه الشجية حتى الهزيع الأخير من الليل. وعندما أخذت رعشاته الرنانة تخفت شيئاً فشيئاً، ومع ذلك فقد كان يتعالى في صوته نهد الشوق الظامئ. ولكن سكن الشادي في النهاية، وتنهد برفق وعمق مصعداً « آهته » الأخيرة

وفي تلك التنهدة التي ظل مكوماً بين شجيرات الورد ناحب (الأمنية) الفانية الظامئة

. . .

وقف الشاب هنالك يستمع إلى أغنية العندليب، وطال وقوفه بعد انتهائها وقضى ليله مؤرقاً ساهداً

لقد كانت دوحة (الأمنية) الساخرة تحترق روحه حتى استطاعت أخيراً أن تقبض على قلبه بعزم وشدة ...

وكان الشاب يستلقي ليل نهار على العشب الأخضر تحت ظلال أشجار القامة الهرمة، يحدق في السماء الصافية

وكان النسيم يتهادى ما بين الأغصان فيلامس الأوراق برفق ويقبل وريقات الأعشاب بابتسامة هادئة حنون

وأما الأشجار العظيمة والأغصان القوية فقد بقيت هادئة دون حراك، لأنها كانت مستغرقة في سبات عميق، وفي أحلامها الأبدية كانت تسكن الأسرار العظيمة، ولما كان النسيم الخفيف الروح يمر بها بهدوء مداعباً أوراقها فقط، كي لا يعكر عليها صفو الهدوء السني

ولم كانت تهجع في نوم عميق شبيه بنوم الأموات ؟

أليس ممكناً أن يعثر الشاب على أمنيته في نومها المسحور ؟

أرهف سمعه إلى هدير الجدول المنحدر من قمم الجبال المكسوة بالثلج الدائم ؛ ولقد عظم هديره وأخذ يصارع الصخور فيحمل معه قطعاً كبيرة منها، ويخدش بها صدر الجبل.

فأين كان الجدول يسرع في جريانه ؟

لم يكن يدري ...

لقد كان ينحدر هائجاً مرمجراً منذ الأزل، لا يعلم له وجهة ولا قصداً ؛ فلربما انصب وتلاشى في البحر أو في سيل جارف، أو في الرمال المتناثرة. وهذا ما لم يكن الجدول يعلمه

وأما هديره وخريره - أليس تعبيراً عن غضب راهن على (المجهول) ؟ ! ...

ولكنها (الأمنية) ... !

لم يكن الشاب يستطيع أن يحمل عبئها المجهد، فلقد كان ثقيلاً عليه ؛ وهكذا عبر العالم باحثاً عن (سعادته)

أشرقت الشمس ثم غربت مرات كثيرة، وتعاقبت الليالي والأشهر، وتصرم العام تلو العام، وما زال الشاب يضرب على وجه الأرض ! لقد مر بقرى كثيرة، وفي إحداها وجد الفلاحين ذات مرة مستسلمين إلى نوم عميق أغرقوا فيه هموم العيش، وكان الظلام الكثيف يلف الأكواخ الحقيرة، والصمت أشبه ما يكون بصمت القبور ...

« أين أنت أيتها (السعادة) ؟ » هكذا صرخ الشاب، ولكنه لم يظفر بجواب

واقترب من باب أحد الأكواخ وخفق قلبه مضطرباً قلقاً

وسمع همهمة تنبعث من وراء الباب أنيناً خافتاً وتنهداً عميقاً يائساً

إذاً فلا بد أن تكون (السعادة) في هذه الساعة المتأخرة تنتحب وسط ظلام الكوخ الموحش

ومشى الشاب في طريقه حزيناً متثاقلاً، وقطع الأنجاد والبحيرات والوديان حتى ارتقى جبلاً شامخاً، وإذ هنالك راع يرعى قطيعه، وكان العشب القصير المكسو يتلألأ بما عليه من دموع الفجر. وبدأت الريح اللطيفة تبث بحفيف أطراف التي بدأت تنتعش من رودة الصباح، وأسرعت تلتمس الدفء تحت أشعة الشمس المشرقة. أما الراعي، فقد كان شاباً فتياً يحمل

كبيراً على ظهره ، وقد جلس على صخرة ، وأخذ يعزف على نايه ، وهو يحدق في الأفق الأزرق بتخيل حالم ، وكانت أنغامه المتقطعة العذبة تسيل من نايه ، لامعة كأشعة الشمس الأولى ، حالمة كمهى العذراء ، منسابة كذلك الضباب الأبيض المحلق فوق الجبال ! وأخذت أنغامه ترحف بهدوء كالضباب فوق الصخور والأحراج والأعشاب ، وأنصتت القطعان إلى أنغام الراعي

— « أخبرني ، أخبرني ، بالله عليك ، لمن تغني ؟ »

— « لمن أغني ؟ هل تغني الريح لأحد ؟ إنني أغني لأنني لا أستطيع أن أمكث بدون غناء ... إنني أعزف لأشياء مجهولة ! »

— « هل تعرف السعادة أيها الراعي ؟ »

— « (السعادة ؟ إنني لم أعثر عليها قط في هذه الجبال ؛ فأنا وحيد ههنا مع خراف بين قليل من الثلج والضباب . وأؤكد لك أن ليست السعادة من حوريات الغاب — لأنني أعرفهن جميعاً ولكن يزعم الناس أنها هناك ، بعيداً بعيداً — ألا ترى هناك مدينة جميلة ؟ أو ليس ممكناً أن تعيش (السعادة) فيها ؟ — لست أدري — إذ لم يسبق لي أن كنت هناك ! ... »

وهبط الشاب الجبل بعد أن تملكته رغبة أشد من قبل ، ويمم وجهه نحو المدينة العجيبة . حقاً لقد كانت المدينة عجيبة — لأنه لم يكن قد شاهد نظيرها : — عمارات فخمة ، وشوارع واسعة ، ومراكز تجارية ، وملاه ومجانات ، وقصور — يغمرها جميعاً نور ساطع باهر ، وكان الثراء والبهاء والرخاء يتألق في جميع أرجائها

وشرع الشاب يقطع شارعاً ويدخل آخر ، وما لبث أن رأى أمام جدار يحيط بقصر ، متسولاً صغيراً يرتجف من شدة البرد ، ويطلب الإحسان بصوت كئيب

وتابع الشاب طريقه —

ثم رغب أن يلقي نظرة من النافذة على أحد الملاهي ، وإذا جمهور الناس يصفقون إعجاباً بمغنية شابة كانوا يعظمونها كأنما هي إلههم فانحنت أمامهم بلطف عذب ، وبدت كأنما (السعادة) تتوهج في ابتسامتها ؛ ولكنها دخلت بعد ذلك غرفة اللبس ، وغرقت منتحبة في أحد المقاعد ، ثم شبكت يديها بيأس وانفجرت تبكي بحزن

وغادر الشاب المدينة العظيمة ، ولم يعد يلقي ولو نظرة واحدة إلى الوراء ، فلقد حزت في نفسه التنهدات الأليمة التي كان يصعدها المتسول الصغير والبكاء اليائس الذي أطلقته الإلهة المعبودة .

وظل يخبط في الأرض مدة طويلة ، وأخيراً وقف في مكان بين جبلين حيث كان يسكن في أحد الكهوف العميقة ناسك طاعن في السن ، بعيداً عن الناس وقريباً من الله ...

وعندما وقف في حضرة الحكيم الناسك سأله بلطف :

« هل تعرف يا سيدي الجليل مقر السعادة ؟ »

وكان الناسك آنئذ مستغرقاً في قراءة كتبه ، يستوعب منها حكمة الدهور . ومضت فترة طويلة قبل أن أجاب على سؤال الشاب ، وعندما رفع رأسه الأشيب ، نظر إلى الشاب نظرة باهتة وبدت على وجهه المجعد ابتسامة صارمة

ترى هل كان يفكر في شبابه المضمحل ؟

« أسعادة قلت ؟ » تساءل الحكيم بلهجة تشوبها الشك ، ثم استغرق في التفكير . وعندما عاد ورفع رأسه ، أخذ يتكلم بقسوة ، فقال : — « عبث ذلك ، إذ ليس هنالك من (سعادة) ! .. إن هي إلا حلم من الأحلام ! »

فأخذ الشاب يتنهد ثم قال : — « إذاً فما تبقى من (الحياة) ؟ ولم احتمل كل هذه الآلام ؟ وما الفائدة من كل أسفاري ؟ »

فرق قلب الشيخ وأخذ يشعر مع الشاب الحالم ، وقال : —

« لا تبك ، فاهجروا السبيل الذي تقصد ! إذهب ، فما زلت فتيا بعد ! ولكن أحداً لم يعثر عليها حتى الآن ؛ فماذا ما حدث ، فلا من شك في أنك ستجلب (السعادة) إلى هذه الأرض ! »

فسار الشاب في طريقه ، وكأنما فارقه التعب بعد سفرته الطويلة ، لأن الناسك وقد في روحه الأمل الذي صار ينمو كل يوم وتنمو معه (أمنيته) . وأخذ يضرب في المسالك الوعرة ، ويرتقي الجبال والتلال .. وكانت قمم الصخور تتألق على ضوء

أشعة الشمس الباهتة المنحدرة إلى المغيب . وحول هذه الرشفات كان (الموت) يحوم ويسمم الهواء بأنفاسه . ولم يكن هناك أي شيء يشي (بالحياة) أو (الشباب)

كان كل شيء ... كنا هادئا كأنما يتقزز بالسوء ، أو كأنما حلت عليه لعنة القضاء هاتف السهد . وظهرت فجأة في طريق الشاب هوة سحيقة . فوقف واجماً على بعد بضع خطوات منها ، وقد استحوذت عليه الدهشة والخوف . . وأخذ يتصاعد من أعماقها ضباب كثيف ، وأخذ هدير الجداول تحت الأرض يدوي صداه المتصاعد من الأعماق السحيقة ، فيملأ الجو هولاً وروعاً . .

وقد كان في الإمكان الاستماع تحت ستار الظلام ، إلى صياح الناسر الرهيب ، ومع ذلك ، فإن الخوف لم يتطرق إلى قلب الشاب .

وعلى حافة الهوة المقابلة ، كانت إحدى الحوريات تسند بذراعها إلى صخرة مغطاة بالطحلب ... وكان شعرها الذهبي يتلألأ مع أنوار الغروب ، فيستبين له احمرار قان .

أما الشاب ، فقد أخذ يسرح نظره مع مجرى الدم تحت بشرتها الشفافة ، وكان ينبعث من عينيها وميض مشاعر غامض ، ومن صدرها تنهدات ممزوجة متسقة . ووقف الشاب في مكانه لا يبدي حراكا ! ومع ذلك فقد مد إليها يده ؛ وفي تلك اللحظة فقط أدرك سر غناء العنادل ، وعلم أين يسرع الجدول المتحدر من على الجبل ، ولم احتفظت الأشجار القديمة بسر صمتها ، ولمن كان الراعي يعزف الأنغام

وجثا أمام الحورية متوسلا ، دون أن يحول نظراته عنهـا ! أجل منها ! من (السعادة) الأرضية !

ولكن (الموت) كان مختبئاً وراء تلك الحورية ، وقد كشر عن أنيابه الكالحة بجهامة مخيفة ، وبسط فوق الهوة منجله الحاد . وقد كان يبدو لأشعة الشمس المحتضرة لسان مجيب على حد المنجل ، وقد رأى انعكاسه فيها على غيمة كثيفة خارجة من الهوة المتثائبة

وظلت الحورية واقفة هناك ، وقد أشارت إليه بيديها ، وسحرته نظراتها ، وأسكرته تنهدات صدرها المضطرب

وكان (الموت) يضحك وهو قابض على المنجل الذي ازداد توهجه مما كان عليه من قبل

* * *

« أيها الأحمق ! أين تندفع ؟ »

وألقى ذلك الشاب نظرة واحدة على الهوة ليقتحمها ثم قفز ... لقد قفز بعد أن طال بحثه عن (السعادة) ، السعادة التي أرقته في الشباب . السعادة التي أسرته بجمالها !

أجل ؛ لقد قفز ! ولكن لا ليعانق الحورية بل ليقع في منجل (الموت) !

ومنذ ذلك الحين صار الناس يدعونها (هوة السعادة)

ماجد فرحان سعيد

(مدرسة الفرندز الثانوية) رام الله

على حد منكب

للأستاذ محمود محمد شاكر

قلت قديماً في الرسالة إن الشيخ إبراهيم اليازجي ومن لف لفه كالعلامة الشرتوني، هم أصحاب حشد وتخليط في جمع اللغة. وآفة الحشد والاستكثار ترك الفهم ومجانبة التمحيص. ثم رأى الناس بعد ذلك فيأخذون هذا الحشد على ثقة وأمن، فتزداد بلبلة الناس في شأن اللغة. فما كل أحد يصبر على تتبع الكلام المبثر في الشعر والنثر، ثم جمعه وتأليفه، ثم النظر في أصوله ومبانيه، ثم تمحيص المعاني المختلطة ورد كل قرينة منها إلى أختها.

وقد قرأت في عدد الرسالة (٩٠٨) مقالة الأستاذ محمود أبو ريه من كتاب نجعة الرائد لليازجي: (هو منه على حد منكب، أي منحرف عنه دائم الإعراض) وما عقبت به الرسالة من قول أقرب الموارد: (وفلان مني على حد منكب: أي كلما رآني التوى ولم يلقني بوجهه، وهو كقولهم: فلان يلقاني على حرف).

وأستطيع أن أوسع لليازجي والشرتوني في هذا الوسم مكان العذر، فقد نقلا، ولكنهما لم ينخلا الكلام ولم يمحصاه. والذي أوقعهما في هذا الوهم، هو حب الاستكثار، ثم اطمئنانهما إلى شيخ قديم كان من أئمة العربية، ولكنه كان أيضاً عريض الدعوى، جريئاً على التوهم، كثير التخليط في اجتهاده، بل كان يدلس فيما يكتب، إذ كان يأتي بالشيء، يوهمك أنه مما نقله عن الرواة قبله، وهو في الحقيقة مما اخترعه بسوء رأيه وقلة معرفته بغامض كلام العرب — ولا أعني غريبه، فهو كان قيماً بالغريب حفظاً ونقلاً. وهذا الشيخ القديم هو الخطيب التبريزي شارح الحماسة. ويدل: حد للحماسة على ما ذكرت من صفته، وعلى شيء آخر، هو ضعفه الشديد في فهم دلالات الشعر العربي. ثم على شيء آخر أيضاً، هو أنه مشغول بالنحو وما إليه وبالإعراب في بيان وجوهه المختلفة. وهذه الكلمة التي نقلها اليازجي والشرتوني عنه، هو صاحبها، وهو مدعي هذا المعنى لها، ولم ترد في شعر قديم، ولا نثر معروف، على الوجه الذي أوهمه التبريزي واحتال له. وإنما أتى الشيخ من سوء فهمه لما تولى شرحه من شعر الحماسة.

جاءت الكلمة في شعر البعيث بن حريث بن جابر الحنفي، أحد بني الدؤل بن حنيفة بن لجيم بن ... بن بكر بن وائل، وهي أبيات جياد مختارة، يذكر فيها الحزون طيف صاحبته على بعد الزيارة، ثم مسيره في البلاد، ثم يفخر بنفسه وبحمايته دون عشيرته وذبه عن مآثرها ومجدها، يقول في مطلعها:

خيال لأم السلسبيل ودونها مسيرة شهر للبريد المذبذب

حتى يفخر بما فعل في نصرة رجلين من قومه هما (يزيد) و (عبس)، كانا استنصراه في ملمة من ملمات الحروب، فنصرهما وحامى عنهما، واستنقذهما، وهم يومئذ جميعاً في غربة من ديار عشيرتهم، قال البعيث في ذلك:

وإن مسيري في البلاد ومنزلي	لبالمنزل الأقصى إذا لم أقرب
ولست، وإن قربت يوماً ببائع	خلاقي ولا ديني ابتغاء التحبب
ويعتده قوم كثير تجارة	ويمنعني من ذاك ديني ومنصبي
دعاني يزيد بعد ما ساء ظنه	وعبس، وقد كانا على حد منكب
وقد علما أن العشيرة كلها	سوى محضري، من خاذلين وغيب
فكنت أنا الحامي حقيقة وائل	كما كان يحمي عن حقائقها أبي

ويظهر لي أن البعيث كان قد خرج هو وصاحباه (يزيد وعبس) إلى خراسان في ولاية أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد، ومن أجل ذلك قال: «ودونها مسيرة شهر للبريد المذبذب».

قال التبريزي في شرح البيت: «أي أشرفا على الهلاك. هذا إذا رويت بفتح الكاف. يقال: أصابه نكب من الدهر ومنكب ونكبة ونكوب كثيرة. ومنه حافر نكيب ومنكوب: إذا أثر فيه حجر أو غيره. ويروى (على حد منكب) بكسر الكاف، يعني أنهما كانا مهاجرين له. يقال: فلان مني على حد منكب: أي كلما رآني التوى ولم يلقني بوجهه. وتنكبني: أي اجتنبني. والمنكب من كل شيء جانبه وناحيته. ومثله قولهم: فلان يلقاني على حرف. وفي القرآن «ومن الناس من يعبد الله على حرف». ويجوز أن يريد بقوله: (بعد ما ساء ظنه) بعد تسلط اليأس والقنوط من الحياة».

والذي حمل التبريزي على التفسير الذي اجتهد فيه ، وادعى فيه دعوى ليس عليها بينة من نص الشعر ، ولا من كلام العرب، بعد أن قارب المعنى الصحيح في الشعر بقوله « أي أشرفا على الهلاك » — أنه أتى من سوء فهمه الذي يدل إليه في معنى قوله: « دعاني يزيد بعد ما ساء ظنه وعبس » فتوهم أنه أراد (بعد ما ساء ظنه بي) ، ثم ازداد في توهمه فزعم مهاجرة كانت بين البيت وصاحبيه عبس ويزيد ، لكي تتسنى له الداخل إلى دعواه في تأويل الكلام على وجه توهمه واخترعه ، ثم أثبته بقوله « يقال : فلان « مني على حد منكب » ، وهو شيء لم يقله غير التبريزي نفسه، بالمعنى الذي فسره به ، وكان من حيرته أن عاد في آخر شرحه يقول : « ويجوز أن يريد بقوله (بعد ما ساء ظنه) أي بعد تسلط اليأس والقنوط من الحياة » ، فكأن الأول الذي فهمه هو الصواب وكأن هذا الثاني جائز على عريض

وأخطأ التبريزي فيما فهم من قول الشاعر (ساء ظنه) ، وأخطأ أيضاً في هذا التفسير الذي قال إنه (يجوز) أن يكون من وجوه تأويلها . فالعرب حين تأتي بقولها (ساء ظنه) في مثل هذا الموضع ، إنما تريد بالظن : ذميم الخواطر التي تخامر نفس المحارب حين يحمر البأس ، إذ يحدث نفسه بالهرب والفرار حبا للحياة وحرصاً على الأحوال ، فيرتكب أخلاق اللئام والأنذال والجبناء في ترك الحماة عن الأعراض مخافة الموت المطبق . فمن ذلك قول أشامة بن سفيان البجلي

ومستلحم يدعو بوهد سلاحه ، بمهلكة ، والخيل تدمى نحورها
كررت عليه ، والجياد كأنها قنا زاعبي ، لم تشنها فطورها
فنهنهت عنه أول الخيل ، إنني صبور ، إذ الأبطال شح صبورها

والمستلحم : من قولهم : استلحم (بالبناء للمجهول) أي روهق في القتال ، واستوحشه العدو من هنا وهنا فهو يدعو باسم عشيرته ، وقد حدث نفسه بالفرار . وهذا البيت هو نفس معنى بيت البهيت . إلا أن هذا قال : « بمهلكة » والآخر قال: « وقد كانا على حد منكب » بفتح الكاف . وهو أيضاً ما قاله التبريزي أولا ، ثم أخذه حب الاجتهاد ، فظن ظنا خطأ جعله رواية البيت . بكسر الكاف ، ثم توهم وتصنع الاجتهاد ، ثم ادعى ما ادعى .

إلا لقد قال عروة بن الورد يتمدح بنصرته قومه (بني عوذ) حين اشتد القتال عليهم بماوان فقال :

تداركت عوذاً ، بعدما ساء ظنها ، بماوان ، عرق من أسامة أزهر

يعني نفسه حين نصرهم، وقد أوشكوا أن يفروا من أعدائهم. ويقول موسى بن جابر الحنفي (وهو البهيت صاحب الأبيات المذكورة آنفاً)

وجدت بنفس لا يجاد بمثلها وقلت : اطمئني ، حين ساءت ظنونها
وما خير مال لا يقي الذم ربه بنفس امرئ في حقها لا يهينها

أي حين خطر له أن يفر من حومة القتال

هذا أول سوء قصد التبريزي إلى المعاني . أما ثانيها فما استخفه من الفرح باجتهاده ، حتى عجل فلم يقف على كلمة « حد » ولم يحاول أن يفهمها ، إلا على الوجه الذي يجر إلى عقله ، وهو الحد الفاصل بين شيئين . مع أن العرب تقول : « حد الظهيرة » و « حد القطر » و « حد الحر » و « حد الموت » وكثير من مثل ذلك ، وتعني بالحد الشدة والبأس والصلابة والمنفوان . وقد قال موسى بن جابر الحنفي في أول كلمته التي ذكرناها آنفاً

ألم تريا أني حميت حقيقتي وباشرت حد الموت ، والموت دونها

وقد روى هذه الأبيات أبو تمام في حماسته ، وشرحها التبريزي نفسه ، فشغله الاجتهاد في إعراب « دونها » مرفوعة، عن تخصيص العبارة ، وعن الوقوف على معنى « حد الموت » ، ومر إلى النحو والعروض يسود الصحف بوجوه تأويلها ، ونسي أن يفسر « حد الموت » : وهي سورته وشدته وغلبته في المعركة وهذا هو المعنى الذي جاء في قول البهيت « حد منكب » : أي سورة النكبة وشدتها في القتال ، ولم يعن الحد الفاصل بين شيئين

وأما ثالث الثلاثة . فإنه عجل كعادته ولم يتثبت من معنى « على » في قوله « على حد منكب » فمعنى « على » في مثل هذه العبارة يقرب إلى معنى « في » أو « عند » ومن ذلك قول الحطيئة :

وإن قال مولاهم ، على جُلِّ حادث

من الدهر : ردوا فضل أحلامكم ردوا

أي عند حدث جليل ينزل بهم . وكذلك قول الفرزدق

على ســاعة ، لو كان في القوم حاتم

على جوده ، ضنــت به نفس حاتم

أي : في ساعة شديدة ، لو شهدها حاتم لضنّ بالماء على أصحابه

ورحم الله إمام العربية شيخنا المرصفي ، فإنه لم يعرج على سوء فهم التبريزي واستطالته في الدعوى ، وقد قرأت عليه أبيات البعيث هذه أيام قراءتي عليه شرحه لحماسة أبي تمام . وقد جاء في المطبوع من شرحه عند ذكر هذا البيت : « على حد منكب » بفتح الكاف ، مصدر ميمي من نكبه الدهر ينكبه بالضم نكباً : أصابه بنكبة . يريد ، وقد أرهقهما العدو فيام منهما كل مبلغ »

هذا ، ومعنى الأبيات الثلاثة الأخيرة ، أن مرثداً ويزيد حين حمي القتال ، حدثتهما نفسهما بالفرار وهما في ساعة منكرة كريهة مستأصلة ، فدعوا — كعادة العرب في الاستغاثة والتداعي عند القتال — فقالا « يا آل بكر بن وائل » ، وقد جهلا فظنا أنهما يدعوان عشيرتهما ، وبينهما وبين العشيرة « مسيرة شهر البريد المذبذب » ، إذ كانوا في خراسان كما قلت آنفاً ، لا في ديار قومهما وكانت هذه الدعوة وســـوسة من وساوس النفس الأمارة ، فالعشيرة كلها كما يعلمان ، هنا ليس بالطلق ، غائبة بعيدة ، والقليل الذي حضر منها خاذل لهما مشغول بنفسه ، إلا أنا ، فإني حاضر لم أغب ، وإذا دعيت فلا أخذل من دعاني . فلما دعوا فقالا « يا آل بكر بن وائل » فهما لم يدعوا أحداً سواي أنا وحدى

فكنت أنا الحــامي حقيقة وائل

كما كان يحمي عن حقائقها أبي

فالبيت الثاني « وقد علما أن العشيرة كلها » بيان واعتذار عن كذبه في قوله : « دعاني يزيد... ومرثد » وجعلهم يدعواه باسمه هو ، بل دعوا باسم عشيرتهم « بكر بن وائل » ومن أجل هذا فلما قال البيت الأخير الذي بلغ به غاية الفخر بنفسه ، وحق له . فقد كان سيداً شريفاً شاعراً ، وكان أبوه حريث سيداً شريفاً شاعراً ، وكذلك كان سائر أعمامه وبني أعمامه .

وفي البيت رواية أخرى جاءت عنها كتبي في هذين اليومين ، ثم أعجب إليها لطول التّرك والنسيان وهي « وقد كانا على حز منكب » ، أي في ساعة نكبة شديدة . والحز والحزة اليسير من الوقت ، لأنه من معنى الحز وهو القطع . يقولون : « على أي حزة أتانا فلان ! » أي في أي وقت ضيق حرج أتانا ! ويقولون : « جئتنا على حزة منكرة » أي في ساعة منكرة شديدة . « وكيف جئت في هذه الحزة ! » . ويقول أبو ذؤيب ، يذكر جماعة النار في شدة الحر ، وانقطاعه حين لا يطاق الصبر عنه

حتى إذا جززت مياه رزونه ،

وبأي حز ملاوة تتقطع ! !

يقول : في أي ساعة منكرة شديدة ينقطع الماء ، حين لا يستطاع الصبر عنه ! فهذه الرواية تؤيد تفسيرنا ، وتنفي عنه تحريف التبريزي وانتحاله واختراعه واجتهاده . وأرجو أن يصح في القارئ العذر في الإطالة ، كما أنصح الناس لتخليط التبريزي والناقلين عنه .

محمود محمد شاكر

(الرسالة)

ظلت يقظى هذه النبارة من شعر البعيث منذ قرأنا الحماسة على أستاذنا المرصفي ، وشيخنا رحمه الله قد أخذ برواية الفتح ولم يعرض لرواية الكسر . وبناء على اعتقادي بما في رأي صديقي الأستاذ محمود محمد شاكر من سداد وقوة أجد من الصعب أن يرى التبريزي بالاختلاف في اللغة والتقول على العرب ، فربما نظر في كتاب لم نظر فيه ، وروى عن من لم نلق عليه

الزيات

الإرث التناسلي بين الطب والإسلام

الدكتور حامد الغوابي

أما بعد فإن القرآن الكريم منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً قد أبدى من التوجيهات الطبية مالم يعرفها الطب إلا حديثاً ولم يصل إلى كنهها إلا بعد تمحيص وتمحيص.

ولست هنا لأتكلم عن إشارة القول وفصاحة الكلام ودقة الأداء وحلاوة التعبير في كتاب الله فهذا قد عاش فيه رجال الأدب وما فتئوا منه ساحلاً، إنما أتكلم من وجهة الطب بعد أن كشف الطب ودائع الغيب في كتاب الله الكريم فانجلت الرغوة عن الصريح ووضح الحق لذي عينين. فإلى الذين انصرفوا عن نور الإيمان وانحرفوا عن طريق الهداية أقول استمعوا وعوا عسى أن يذكر ما أقول منكم ناسيا ويرد غويكم لاهيا.

وإلى الذين عمر الإيمان في حنايا ضلوعهم وامتلأت به أرجاء قلوبهم أقول: اسمعوه تجدوا فيه روحا على قلوبكم وبردا على صدوركم وزيادة اطمئنان وحلاوة إيمان.

يقول الله تعالى (فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا • يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا)

هنا قد تعجب قوم مريم كيف تأتي أمرا فريا وأبوها لم يكن امرأ سوء وأمها لم تكن بغيا فبين الله تعالى في هذه الآية على لسان قومها أن الأخلاق تنتقل بالوراثة وأن الأب إن كان غير حميد الخلق والأم إن كانت فاسدة نقلا إلى ذريتهما سوء الأخلاق بالتوريث.

وقال تعالى (قال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا)

ومعنى ذلك أن الخلف يأخذ من السلف صفاتهم بالوراثة فهؤلاء الكفار الفجر لا يلدون إلا أمثالهم ولا غرو أن الولد سر أبيه ولا تلد الحية إلا حية

هذا وفي أحاديث رسول الله (ص) ما يؤيد تأثير المرأة في توريث أخلاقها لأنسالها فيقول في الحديث (تزوجوا في الحجر الصالح فإن العرق دساس) ويقول (تخيروا لنطفكم ولا تضعوها في غير الأكفاء)

فنرى في هذين الحديثين أن رسول الله قد وضع أسس علم الوراثة فحذر من زواج المرأة إن لم تكن في الحجر الصالح أو لم تكن من الأكفاء لأن العرق دساس ينقل إلى النسل ما فيها من خير وما فيها من شر وحتى لا تكن المرأة سيئة الخلق، فتورث ذريتها خلاصة الرجل فيخرج الجنين كأمه سيء الخلق أو إن تكن غير كفء بأن تكون مصابة بالسل أو بأدران فتنقل لذريتها وراثة السل والجنون وغير ذلك من الأمراض إلى نسلها

وأمر كذلك رسول الله باختيار المرأة ذات الدين والخلق فقال في حديث آخر (تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين والخلق تربت يداك) فإن النسل سيرث منها خلقها فيكونون ما يكون دينها إن صلحت وشبهها إن فسدت ومن مرآة أبنائها وهم صورة مصغرة منها ولم يهتم الرسول بغير دينها وخلقها

هذه وجهة نظر في الوراثة من الأبوين وسنرى رأي الطب في ذلك

الطب والوراثة

يقول الطب إن الجنين يعتمد في خلقته وتكوينه على نوع الحيوان المنوي في الرجل ونوع البويضة في المرأة فيخرج يشبه الأبوين جسما وعقلا، فإن اختلف عنهما كان موضع غرابة وشذوذ قاعدة

وقانون (ماندل) يقول بأن هناك وحدات تمثل صفات خاصة موجودة في الحيوان المنوي وفي البويضة، وهذه الوحدات تنتقل بعضها أو كلها إلى النسل، وعندما تتحد وحدات الأبوين المختلفة مع بعضها باتحاد الحيوان المنوي والبويضة تتغلب وحدة على الأخرى أو بمعنى آخر قد تطغى إحدى خواص الوحدات من إحداهما على الأخرى في الذرية ولنضرب لذلك مثلا يسهل علينا فهم هذه النظرية

إذا توالد حيوانان زباد (وقد اختير هذا الحيوان لسهولة عمل التجارب عليه في المنازل) وكان أحدهما أبيض اللون والثاني أسود كان أول نسل منهما أسود اللون كأحد الأبوين وذلك لأن اللون الأسود يطغى ويمسح اللون الأبيض

وليس معنى ذلك أن يذهب اللون الأبيض لغير رجعة فإن هذا النسل الأسود سوف ينتج إذا تناسل مع بعض نسلاً بعضه أسود وبعضه أبيض وقد وجد أن ثلاثة أرباع النسل في هذه الحالة يكون أسود كأحد الأجداد الأسود والربع أبيض كالجد الأبيض

رأينا من المثل السابق كيف يطغى اللون الأسود على الأبيض في الإرث التناسلي وكذلك الخلق الفاسد يطغى على الخلق الحسن كما يطغى اللون القاتم الأسود على الأبيض الأزهر، فإن كان أحد الأبوين فاسد الخلق نشأ النسل أكثر ميلاً إلى الفساد ويجري ذلك في أنسال متعاقبة ينشأ جيلهم إن لم يكن كلهم وقد التوت طرقهم وسقطت مروءاتهم وضلت عقولهم، والأمثلة من واقع الحياة وسجل الأطباء كثيرة في ذلك، وأبدأ بإرث الجنين من الأب فأذكر قصة أسرة ما كلها هي أسرة جيوكس في نيويورك (عن كتاب الطب الوقائي لمؤلفه روزينو) بدأت هذه الأسرة برجل كانت مهنته صيد السمك وكان شريراً فاسد الأخلاق ميالاً إلى الشر كسولاً في عمله وقد ولد في سنة ١٧٢٠ وقد رزق بخمس بنات فتزوجت هذه الفتيات ماتين في ستة أنسال متعاقبة بحوالي ١٢٠٠ شخص وقد عرف تاريخ ٥٤٠ شخصاً منهم تمام المعرفة وعرف من ٥٠٠ آخرين جزء من تاريخهم وكان سجل هذه الأسرة أن ٣٠٠ ماتوا في سن الطفولة و٣١٠ التزموا مهنة التسول و٤٠٠ رجال ونساء فاسدات وأكثر من نصف النساء عاهرات و١٣٠ حذقوا أساليب الإجرام و٦٠ لصاً اعتادوا الإجرام ولم يعثر في سجل هذه الأسرة على واحد تعلم في مدرسة أو تخرج في جامعة ولكن وجد فيهما ٢٠ شخصاً تعلموا صناعات ولكن أين تعلموها؟ إنهم تعلموها بين جدران السجون

وسبب هذا النسل الفاسد كله رجل واحد فاسد قد نقلت نطفته الفاسدة المرأة فنقلت إلى بويضتها الفساد فورثت البنات والبنين الشر وانحلال الدين

هذا مثل مما أوردته كتب الطب وأثبتت كيف ينشأ النسل فاسداً كأبيه، وقد سبق إلى ذلك القرآن فقال (يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء) حتى تأتي شيئاً فريا

كما أن هنتجين إرثاً تناسلياً من الأم ويصف (بوبمان) حالة أسرة بدأت بفتاتين أنسالهما امرأة شريرة سكيرة وأعقب في خمسة أو ستة أنسال ٨٣٤ شخصاً منها ١٠٧ نغلاً (ولد الزنا) و٦٤ في الملاجئ و١٦٢ اتخذوا التسول مهنة و١٦٤ عاهرات و٩٧ بين قواد وقرنان (لا غيرة له) و٧٦ حكم عليهم بالإعدام والباقون بين أمراض وقذارة

وهناك أمثلة صحيحة لا يتسع المجال لذكرها الآن ولكن قد يسأل سائل لماذا نرى في بعض الأحيان من قد ينحدر مريضاً من أب سليم؟ فالجواب عن ذلك أن السبب في مرض الأحفاد السابقين كما رأينا أن الخنزير البري الأبيض قد نشأ في ذلك دورس فتناسل من أبوين أسودين راجعاً إلى لون جده الأبيض الأول

فالأب والأم والأجداد ينقشون صفاتهم في الأولاد، ويورثونهم ما فيهم من عناد، حتى ليرى المولود كأنه نسخة طبعت مرة أخرى من صحيفة لوح موجود

أجل. ألم تروا ما وقع إلى أسر قد انتشر في أفرادها جميعاً شمم الأنوف، وإلى أسر غيرها قد تفشى فيهم فطس الأنوف؟ أم لم تروا مثلاً إلى أسر قد انتقل فيها نسلاً بعد نسل مرض البول السكري وإلى غيرها قد انتقل فيها الميل إلى الانتحار حتى إنه أفرادها ليتشابهون في طريقة الانتحار

ألم تروا إلى بني إسرائيل وقد توارث فيهم حب المال ينتقل فيهم جيلاً بعد جيل؟ أم لم تشهدوا العرب الرحل وقد كرهوا سكنى المدن وتوثوا تحت الخيام بتوارث الأبناء منهم ذلك من الآباء؟

أليس فيما سبق أدلة على أن الوراثة تنتقل من الآباء إلى الأبناء وأن هذه الوراثة جسمانية وعقلية ونفسية، فكما تتجلى في الجسم في خلقته وقامته وصورته وحركاته، تتجلى في النسل في قوة أو ضعفه، وصحته أو مرضه، وذكائه أو بلاهته، وتتجلى كذلك في النفس في صفاتها وسجاياها وطباعها

هذا وقد رأينا أن النطفة هي الحامل على ذلك والناقل لما في

الأب إلى النسل وكيف أن الدين الإسلامي قد ألم من قبل بتأثير الوراثة ثم رأينا كيف عبر القرآن عن النطفة بأنها أمشاج فقال تعالى { إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا }

فالنطفة إذن ليست بسيطة شكلا فهي مركبة أصلا وهي خليط من المواد في تكوينها ، فهذه الحيوانات المنوية وهي ترى متشابهة شكلا ، فإذا بها قد أخرجت بعد تلقيح البويضات أجنة مختلفي الأنواع متبايني الصفات متنوعي الأشكال ، فهذا ذكر وذاك أنثى وهذا أبيض وذاك أسود وهذا جميل وذاك دميم وهذا عاقل وذاك مجنون وهذا مستقيم وذاك مجرم أثيم

فما هذا الذي غير الأجنة وقد بدأت متشابهين، وما هذا الذي يلوح للناس وقد كانوا في بدء الخليقة متماثلين ؟ ألا إنه شيء في النطفة وفي البويضة كمين ، وحب هو فيهما دفين ، ذلك صنع الله رب العالمين الذي خلق النطفة أمشاجا وجعلها في قرار مكين فتبارك الله أحسن الخالقين

أرأيتم كيف أثبت القرآن الإرث التناسلي من قديم ثم جاء العلم فأيد القرآن بالأدلة والبرهان ؟

وفي فرصة أخرى سنتكلم في موضوعات العلم والإسلام التي نرى لزاما علينا أن ننشر بيانها على الناس هدى وإرشاداً

عامر الغزالي

طبيب أول مستشفى رعاية الطفل بالجيزة

الغزالي وعلم النفس

للأستاذ حمدي الحسيني

- ١٠ -

السلوك

التقينا بواسطة هذه المجلة الزاهرة مع القراء الكرام تسع مرات تحدثنا خلالها عن شخصية الإمام الجليل حجة الإسلام أبي حامد محمد الطوسي الغزالي وعن نظرياته النفسية التي رأيناها تتلاقى مع قواعد علم النفس الحديث فتتآخى ، وتتقارب فتتجاذب ، فظهر من كل هذا صورة واضحة لنفسية هذا الرجل العظيم وصورة أوضح لعقليته الجبارة وتفكيره الدقيق العميق . وقد وعدنا في مقالنا السابق أن نتحدث هذه المرة عن السلوك في نظر الغزالي وهو ما يسميه الغزالي بالخلق .

والأخلاق الإنسانية هي هذه الصور الكثيرة المتعددة التي تشبع الرغبات بها نفسها فينشأ من تعددها الفروق بين الناس والتفاوت في أقدارهم وقيم أعمالهم . والغزالي ، ولا شك ، من أكبر علماء السلوك أو (الخلق) الإنساني وعلى الأخص الخلق الإسلامي بالنسبة لقواعد الدين الحنيف، فبرا بالوعد وحرصا على الخير نسوق لكم ما يقوله الغزالي في السلوك اللاشعوري أو ما يسميه هو الخلق ، وقوله هذا تحديد دقيق للسلوك اللاشعوري سواء كان هذا السلوك غريزيا أم مكتسبا بالعادة . يقول الخَلق والخُلق عبارتان مستعملتان معاً يقال فلان حسن الخَلق والخُلق أي حسن الظاهر والباطن ، ويراد بالخَلق الصورة الظاهرة وبالخُلق الصورة الباطنة . وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح مدرك بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة أو جميلة ؛ فالخلق إذاً عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية . فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً ، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً

هذا ما يقوله الغزالي في السلوك اللاشعوري وهو قول واضح الجوانب لا غموض فيه ولا إبهام وهو موافق كل الموافقة لما يقوله علم النفس الحديث من أن الطفل يحس بالفرق الكبير بينه وبين أبيه وإخوته وأقاربه من الرجال في الطول والضخامة والقدرة فيشعر بضعف أمام قوتهم، وبعجزه بالنسبة إلى قدرتهم، وبحقارته بالقياس إلى عظمتهم ، ثم ينتقل هذا الشعور إلى عقله الباطن فيستقر فيه ويصبح هذا الشعور هو الحاكم المطلق والمتصرف الذي لا ترد إرادته ولا تعصى إشارته . ينتقل الطفل من دور الطفولة إلى بقية أدوار حياته . ولكن ذلك الشعور

بالنقص والعجز والمهانة يظل مستقراً في عقله الباطن يوجهه لا شعوريا ويصرفه بالحيل فقد تراه وهو في شيخوخته طفلا في سلوكه يتزع في سبيل الحصول على أهدافه نزوعاً طفليا كالإقدام الشاذ الذي قد يتخذ شكل الاعتداء والتحيز، والإحجام الشاذ الذي هو النكوص والانطواء على النفس وتجاهل المشكلة والتردد والحيرة والقدرية التي قد تنقلب قلقاً ووسواساً وحصراً نفسيا خبيثاً مما لا يستطيع غير الله مداه في السلوك ومدة بقائه في النفس حتى تنحل العقدة (عقدة النقص) بالمجوبة فيشعر الشخص بقوته وقدرته وكرامته وتدس هذا الشعور في عقله الباطن ويتحول قيادة من جديد فيسيره تسييراً يتناسب مع رجولته وقوته وكرامته. يسيره لا شعوريا كما يقول الغزالي (بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية)

ولنرجع الآن إلى الأمثال التي يضربها الغزالي على صحة قواعده، والشواهد التي يقدمها لشرح تلك القواعد وتقريبها للأفكار. يقول:

وإنما قلنا إن الأخلاق هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على الندور ولحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ. وإنما اشترطنا أن تصدر الأفعال بسهولة ومن غير روية لأن من تكلف بذل المال والسكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم، فالسلوك الصحيح عند الغزالي هو السلوك اللاشعوري. وبعبارة أقرب إلى الحقيقة هو السلوك الذي يكون ناشئا عن توافق بين العقل الباطن والعقل الواعي بدليل قوله. ليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل لفقد المال أو لمانع! وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل إما لباعث أو لرياء، وليس هو عبارة عن القوة إلى الإمساك والإعطاء بل إلى الضدين واحد وكل إنسان خلق بالفطرة قادر على الإعطاء والإمساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا السخاء. وليس هو عبارة عن المعرفة فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعاً على وجه واحد. بل هو أي الخلق عبارة عن الهيئة التي تستعد النفس لأن يصدر منها الإمساك أو البذل هو عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة.

ونقارن الآن بين هذه الأقوال التي يقولها الغزالي وأقوال علماء النفس المعاصرين وهي أن الرغبات ليست خيراً ولا شراً في ذاتها فإن الخير والشر موجود فقط في ذلك الطريق الخاص الذي يسلكه المرء لإشباع رغباته

ومن الحق أن نترك الغزالي يقرر الخير والشر في طريق السلوك لإشباع الرغبات ويضع قيم الأخلاق. ويصف هذه القيم بالحسن والقبح في نور عقيدته الدينية وآدابه الإسلامية. يقول: إن حسن الصورة الظاهرة لا يتم بحسن العينين دون الأنف بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر. فكذلك في الباطن أربعة أركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل. أما قوة العلم فحسنها في أن تصير بحيث يسهل بها إدراك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال، وبين الحق والباطل في الاعتقادات، وبين الجميل والقبيح في الأفعال. فإذا صحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة. وأما قوة الغضب فحسنها في أن يصير انقباضها وانبساطها على ما تقتضيه الحكمة. وكذلك الشهوة، فإن حسنها في أن تكون تحت إشارة الحكمة. وأما قوة العدل فهي ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة العقل والشرع.

ونحن نرى الغزالي قد عرف جيداً أن كثيراً ما تتصارع رغباتنا وتتعارض دوافعنا المختلفة فيكون لدينا نزوع أو رغبة في أن نسير على نهج معين من الأعمال. وفي نفس الوقت يكون فينا ميل آخر أو رغبة في أن نسلك طريقا مخالفا للأول كل المخالفة. وقد يكون هذان النوعان من السلوك متناقضين تمام التناقض فندفع إلى هذه الطريق ثم إلى تلك إذ لا نستطيع أن نسلك الطريقين معا فيبدأ الصراع

عرف الغزالي كل هذا فأجرى يصف القوى النفسية المتصارعة في صفوف معينة ويعلق عليها إذا ما بدت سلوكا، نوعاً من الحسن والقبح والخير والشر والفضيلة والرذيلة يقول:

العقل مثاله مثال الناصح المشير وقوة العدل هي القدرة ومثالها مثال المنفذ الممضي لإشارة العقل، والغضب هو الذي تنفذ فيه الإشارة ومثاله مثال كلب الصيد فإنه يحتاج إلى أن يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الإشارة لا بحسب هيجان

فلسفة الوجـــودية

للأستاذ شاكر السكري

هناك غث بين أحضان باريس بصورة عامة فلسفة الوجودية التي استفحل أمرها بشكل يدعو إلى الغرابة والدهشة لا باعتبار الوجودية كفلسفة، ولكن باعتبار الأشخاص وجوديين. وإذا ما عالجنا هذه الوجودية القائمة اليوم بشيء من الصدق وجدنا أن هناك نوعاً جديداً من الهوس والتفسخ الناتج من وجهة نظر متطرفة أدت بها إلى مفهوم مغلوط.

وإذا تساءلنا عن سر هذه الفلسفة وحقيقة الحرية الفردية كما تدعوها أو تدعو إلى تصويرها الوجودية.

والحرية الفردية في منطوق هـــذا المذهب من الفلسفة الوجودية. ولكن أية حرية فردية تزعمها هذه الفلسفة المدنية؟

الحقيقة هي أن ليس هناك غير الحرية الفوضوية الجنسية، الحرية التي تقضي بأن يكون الفرد الوجودي وليد اللحظة التي يعيش فيها، وليست هذه اللحظة إلا أن يفرغ فيها كل رغباته وأهوائه ونزواته الجنسية على الشكل الذي تبشر به الوجودية. ومعنى ذلك أن الوجودي هنا والوجودية تلك لهما مطلق الحرية في تقبيل وجوديتهما كما يرغبان على مرأى ومسمع من الناس. ومن ميزات هذه الحرية أن الوجودي له مطلق الحرية في كيفية القيام بأعماله.. فهلا يشعر أن هذا الإنسان ليس من حقه أن يعيش فما عليه إلا أن ينفذ لمجرد اعتقاده ذلك دون أن يلتفت إلى القيم والنظم الاجتماعية والشعور بالمسئولية. فإذا قلت له إنك مسئول عن ارتكابك هذا الجرم! كفى بأن يملي لك مبرراً ارتكابه الجرم.. إنه وجودي.. من حقه أن يقرر المصير الذي يعتقده والذي تقره الوجودية هذا بغض النظر عن المقومات التي ترتكز عليها الحياة.

ه. والغريب ما في باريس اليوم هؤلاء الوجوديون إنك تقابلهم في كل مكان، وحيثما يقع بصرك على أحدهم تجده نفسك قائلة على الدور... الوجودية.. وكل شبان باريس اليوم وشاباتها يجرون وراء هذا المذهب ويمعنون في التطرف فيه. وكيفما كان رأي «جان بول سارتر» عميد هذا المذهب في تفسير الناس لمذهبه فالذي لا شك فيه أن الوجودية الآن في فرنسا تعني انحلال الأخلاق والاستهتار بكل ما تحويه كلمة الاستهتار من معان

وتروي باريس الأعاجيب عما يحدث في حفلات الوجودية

شهوة النفس، والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فإنه تارة يكون مروضاً مؤدباً وتارة يكون جموحاً، فمن استوت فيه هذه الخصال واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقاً. ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصة. كالذي يحسن بعض أجزاء وجهه دون البعض، وحسن القوة الغضبية يعبر عنه بالشجاعة، وحسن قوة الشهوة يعبر عنه بالعفة. فإن مالت قوة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة تسمى تهوراً، وإن مالت إلى الضعف والنقصان تسمى جبناً وخوراً. وإن مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة تسمى شرهاً، وإن مالت إلى النقصان تسمى جموداً. والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان. والعدل إذا فات فليس له طرفا زيادة ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور. وأما الحكمة فيسمى إفراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة خبثاً ويسمى تفريطها بلهاً. والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة.

فإذاً أمهات الأخلاق وأصولها أربعة: الحكمة والشجاعة والعفة والعدل. ونعني بالحكمة حالة النفس وقوة يساس بها الغضب والشهوة، ونعني بالشجاعة قوة الغضب مقادة للعقل في إقدامها وإحجامها، ونعني بالعفة تأدب قوة الشهوة بأدب العقل والشرع. ومن اعتدال هذه الأصول تصدر الأخلاق الجميلة كلها إذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الذهن. ومن إفراطها يحصل المكر والخداع، ومن تفريطها يصدر البله والجنون.

وأما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة. وأما إفراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والتكبر. وأما تفريطها فيصدر منه الذلة والصغار والانقباض عن تناول الحق الواجب. وأما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء. فأمهات الأخلاق إذاً هذه الفضائل الأربعة وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل

مجدي الحسيني

ومن « أماميه » لا يمكن أن نرى لا في الشرق فحسب بل حتى في مواخير « موءدرز » التي تنادى برغم بالجورها المشهود لما يحدث في حفلات الوجوديين

ومفهوم مثل هذا يدعو إلى الخروج على القواعد الفلسفية الصحيحة التي ترتكز عليها القواعد السامية لهذه الفلسفات.

ولا يمكن أن تسير هذه الفلسفة في ظل النظام الذي تسير عليه الحركات والنظم الشعبية في العالم نحو خلق حياة مطمئنة تعيش بظلها الشعوب وتنضوي تحت منارها قوى الطبقات الشعبية العاملة. ومفهوم الحرية الأساسية ليس كمفهوم الحرية الفردية التي تبشر بها الوجودية القائمة على أساس الإشباع الجنسي وإشباع حيواني مثل هذا قد يجر وراءه البشرية إلى أسوأ المصاير وأحطها قيمة وخلقاً. ولعل الوجودية هذه فلسفة تدور حول محورها الثاني بدعوى الانطلاق الذي افتقد التركيز لكي تعمل على الهدم لا البناء، ودعوة مثل هذه قد يكون عمرها أقصر مما كانت عليه أعمار الفلسفات والمذاهب المختلفة الأخرى. وما عميد المذهب « جان بول سارتر » سيزيد في استكثار الوجودية القائمة الآن في فرنسا بالرغم من اعتباره ما يحدث شيئاً لا تقره الوجودية ولا تدعو إليه. والواقع يؤيد أن « جان بول سارتر » هو الوجودية الباريسية بنفسها، ولا غرابة إذا كان الوجوديون لم يفهموا معنى وجودية عميدهم كما أن عميدهم تجاهل وجوديته ووجوديتهم أيضا

أما بقاء هذه الفلسفة قائمـــة فذلك لا يعني أنها ستمشي، ولا يمكن لها العيش إلا في وسط مثل باريس وأمثالها من المدن الأوربية الخليعة

هناك فلسفات أخرى تجري وراء استقصاء الحقائق والغوص إلى أغوارها إلا أنها فلسفات لا تخلو من الدوران حول نفسها.. وليست هذه الفلسفات المضطربة إلا نتيجة الشخصيات مضطربة تتخبط في مهم وتقدير الأمور كما أنها تزيد حول هذه الفلسفات غموضاً وإبهاما. والشكل آخـــذ في طريقه لبلوغ النتائج التي تمخضت عنها الحياة. الحياة التي لا بد من أن تلد حياة أخرى وعالما آخر. وطبيعي أن الحياة سائرة خطوة نحو التقدم يعقبها خطوة أخرى نحو بلوغ العقل الإنساني أقصى مـــداه وأبعد ما يهدف إليه

فما دامت الحياة قد بدأت بالتقدم فسوف تنتهي لا محالة بتقدم يكمل لها ما تصبو إليه بعد أن تحيل العناصر الضارة عناصر صالحة تستخدمها البشرية لبلوغ أمانيها

الحقيقة مثل هذه تدعو العقل البشري لأن يعمل ويعمل جاهداً حتى اللحظة التي يسود فيها الركود والهدوء.. ومن ثمة تنشأ عقلية أخرى آخذة بما أنتجه هذا العقل ليكون بداية فلسفة جديدة، تعمل على إظهارها عقليات أخرى. وهكذا تقارب النهاية البداية

ولا بد من يوم تكون فيه الحياة فلسفة كاملة من الصعب فهمها والإحاطة بكل مداخلها ومخارجهـا. وعلى هذا النحو تجد البداية النهاية ويعود العالم وهو سائر نحو التقدم — ليقارب النهاية التي بدءاً منها البداية.

شاكر السكري



القمر!...

« في لحيظة القمر أتملى من الهوى العنيف الخفي ، وتوله بالطبيعة وعبادة لها ، واندماج بها وفناء فيها »

« هجران شوقي »

وفي ليلة قمراء مشبوبة الصد … أطل على البدر وهنا على عمد
وكان هواي لا يقر من الضنى … أقلب فيه الطرف سهداً على سهد
أداري هواي خفية لاعج الأسى … وأورده ليل النوى أشأم الورد
ومن كان مثلي في اكتئاب ووحدة … تمنى لو ان النوم يسري على مهدي
فقلت له : [illegible] تراني [illegible] … سلام على من كنت منه على وعد
تعال أبا [illegible] الليالي وسحرها … وباطنها الثرى وباطنها الوردي
تعال إلى قلبي [illegible] … وأنت أحاديثي إذا هاجني وجدي
وقد قر عيناً واستراح إلى الهوى … وأقبل في ثوب المحبة والود
فتبته حتى استلان إلى الكرى … وأفرشته صدري ووسدته زندي
ونام بأحضاني [illegible] … وحلم على ثغري وطاف على خدي
وكانت عبارات من الدر [illegible] … تراكض ما بين الترائب والنهد
وسامرني من بث نجوى وصاله … ومن وصله أحلى من العيشة الرغد

* * *

تسائلني [illegible] في نشوة الهوى … أأطمع أن ألقى الذي أشتهي عندي
فقاطعه [illegible] … ونلت يدي تنساب في شعره الجعد
أشم أليف الروح في غمرة الجوى … وأشربه دمعي وأطعمه كبدي
وأرسم للنفس [illegible] … أما كانت في حبي وفي ليلتي وحدي !!

دمشق : هجران شوقي

إليها

للأستاذ جورج سلستي

يا بسمة الأمل النضير ، ومسافة الحلم القرير ، وسنا الربيع الطلق ، يزخر بالوضاءة والعبير ، وندى الصباح يهل بالنعمى على الزهر المرور ، روحي يحوم عليك يا « ليلى » ، فأنى شئت سيري ! ويطوف حولك طوفة الحجاج بالحرم الطهور ! فلأنت ، ما تدنين أو تنأين ، سالفة شعوري أحيا ، وذكرك لي في أبداً ، وطيفك في ضميري !

* * *

أنا مذ عرفتك ما عرفت السكون إلا دفق نور ! تتألق الدنيا بشرك لي ، وتبسم لي أموري أنثى ، وقد علقت بشخصك مقلتاي ، على سرير تكاني أصبحت كالملك الجديد في سريري نشوان من خمر معتقة عتابية الفهور ! طافت بها عيناك يا « ليلى » فهيمتا مصيري والبابلية تستبيح بمقلتيك حجى الوقور !

* * *

ولم تتفتح مثل كم الورد في الروض النضير متألق البسمات ، مصقول اللمى ، رف السرور شفتاه حاليتان كالشفق المنور في البكور رواهما ألق الصبا الريان بالسحر الوفير وملاهما ، كشقائق النعمان ، ذوب من سعير ! أفدي افتراجهما يمن على بالنطق الأثير ، ويجود بالكلم المدلة ، في الحديث ، دلال حور في فتنة الوتر الحنون وقد شأى سجع الطيور كلم أغانيه النظيم بها ، ومضات المنير ! كلم أشربها النفوس لتشرب الماء النمير ! يا للحديث المستساغ ينم عن قلب كبير ،

هو نُزهة الروح الحزين ، وبلسم القلب الكسير
قيد السميع ، ومقلة الصبي ، وأسر السميع !

* * *

« ليلى » ، وروحك في سمك كسكب العطور ،
إن أحسك في دمي دحيباً تزج به سطوري !
أشعر خلتك الدنى وتظل سالمة الصدور

بيروت — جورج سلستي

في الدير

للأديب عبد الوهاب البياتي

أحبك الفن ، لا الهوى … وأهواك للروح لا للجسد
فلا تذرفي كاذبات الدموع … ولا تطيري من حوالنا أحد
أتى فرقتنا حدود التعاليم … بسور ، فجمعنا معتقد
خلف الجدار ، جدار الزمان … لنا موعد ، ولنا مسترد
ستمحها الريح يوماً له … ولكن – ولكن بطول الأمد
تلبث عنى ، ليته ما يكون … لأبقى – لأبقى أحن لند
أيبقى بعينيك نفس الحنين … تشلله ظلمات الأبد
أتبقى تدور بجنة الفراغ … وتعثر في الصمت هذا الكمد
أتبقى مسابيحنا المطفآت … على الرف ظمأى لزيت نفد
يقولون : « مهلاً » وكيف نظل … ونحن على الدرب كنا رصد
بشيء لنا في السماء الأصوص … من النور والفرح المفتقد
ومن ظمأ جارح يستغيث … بوجهه الليل إما غد .

* * *

على قمة الموت حيث النسور … تعود بها كبرياء الخلد
سأفرزها الصليب الخشيب … وأدفن في التاج هذا الجسد

بارمانق — العراق — عبد الوهاب البياتي

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

المباراة الشعرية وموزع صد النقد :

إن هذا المجلس الذي ضم الشعراء : شاهين وميشال وفوزى وشفيق معلوف في دار السيدة إيزابل الجلي ينبض بالترف الصاق .

ولقد هبت علينا منه ونحن في السودان ، نسمات رقاق سطرات

إن السيدة جرية لا شك في ذلك ، وهؤلاء الشعراء يجدرون هذا الجمال المصون ، ويشتارونه عشقاً موحداً عفيفاً ؟ وأمثل هذه السيدة التفضل من اللاتى يوحين ويأخذن بيد الأدب الفنان إلى عروشه الخالدات . أما تراها تبالغ في إعزاز الأدب وتهديه ساعة سامية مطهرة ؟ أما تراها تبالغ في إعزاز الجمال وتكرمه ؟ فهي تضعه في كفة ، وتضع في الكفة الأخرى ساعة ذهبية .. إن الذهب في رأيي لا قيمة له ، لأنه هنا رمز للإعزاز والتقدير ، أعني أن قيمته معنوية لا مادية !

وإنه ليدهش الخاطر أن يقول هؤلاء السادة شعرا في هذه الحادثة المادية البسيطة ، ولكن الله أدركني برحمته فشرحت أو علمت أن الباعث المؤثر هو جمال الثغر الذي يلامسه الفنجان اند تمنى كل شاعر من هؤلاء جاهداً في أعماق نفسه لو كان مكان الفنجان ، وهنا تذوب النفس رحمة لضعف الإنسان الشاعر ! إن شعراءنا هؤلاء يشتركون في هذا .. وهو المرجع الأصيل لهذه الخطرات الشعرية !

أما السيد شاهين فقد قص علينا قصة سطورية (فوتوغرافية) حرارة الفنجان . وإن الفنجان لو درى ما أصب السيدة منه لاعتذر وإن السيدة وضمته فارغ .. إنها قصة وردت قبل أن يبرد الفنجان ، فيين البيت الأول :

على الفنجان لا لاست … شفتاه شفتيها وشيعر

وبين الشمار : وضمته منذ دامت كفها ، بون بعيد .. وإذا صح أن الفنجان مستمر فإنها لا تضمه وإنما (تدلقه) ! وأين إجفال الجسم الرقيق من هذه الحرارة المستمرة ؟ وإذا صح أنها (وضمته) فإنه لا ينكسر ، كما جاء في البيت الأخير :

وارتمى من وجده متحطماً   فتسيها وهو يبكي فانكسر

إن الانكسار فيه نوربا المهنة . ولكن هذا البيت لا صلة له بالأبيات السابقة !

أما السيد ميشال فقد عزف شعره أول ما نظرت فيه ، وقد أعجبني هذا الشعر حتى زاحم أنفاسي وأعجل عيني على حروفه المتحركات في سعة .. إنه شعر أصيل ، وكأنه كان ممتداً في خلد الشاعر منذ أمد ، فقد سمعت الناسية ... وفاض ، وماج وهاج .. كما يشعاع الصوفية وهم في صومعة الفناء . إنه يقول :

عاش يهواها ولكن   في هواه يتكتم
كلما أدنته منها   لامس الثغر وغمغم
دأبه التقبيل لا ينفك حتى يتحطم !

إن كلمة (عاش) هنا تخلع الإحساس على هذا الفنجان الذي عاش عمراً في كنف هذه السيدة وبين أنفاسها وهي قد حامت عليه بروحها الخاص .. ثم (يتكتم) ، وهذا الكتمان يصور حال هذا الفنجان وعشقه المكظوم وإطراقه ووحدته ثم صمته الحزين — وهنا شيء هائل يزحم نفسي ولا أستطيع التعبير عنه — فأنا أشبه هذا الفنجان العاشق — وكم في الناس مثله من فناجين — ولكن ليس لي سيدة تعطف علي أو أجد منها قبلة لأحس منها .. فما أشبهه من فنجان مرموق وما أظرفه !

ثم يندفع الشاعر المطلاق فيقول (كلما أدنته منها) — ولا أملك إلا أن أصيح : واعوتاه ! .. إن الفنجان العاشق المكتوم لا يستطيع الفتور منها ، فإذا (أدنته) في رفق ولطف (لامس الثغر وغمغم) ! و (لامس) هذه ليست كلمة ولكنها شعور مطلق ، و (غمغم) هذه رقية الشعر وتميمته في هذا البيت بل هي طلسم السحر فيه .. إن ذلك الفنجان العاشق المكتوم ، انتظر طويلاً فلما أحس حرارة اللقاء ، أدهشته المفاجأة ولم يصدقها وأصابه الشعور الجارف العاصف فغمغم .. وليسمح لي الأستاذ في صيحة أخرى : واعوتاه ! واعوتاه !

ثم الخاتمة الطبيعية لهذا الإندفاع الشعوري . (دأبه التقبيل) وهنا إصرار عذب معذب .. (ولا ينفك) وكيف ينفك !! وقد وجد المورد الروي الخفاق بعد ظمأ .. (حتى) وهذه الغاية المطلوبة (تحطم) .. وهذه نهاية القبلة الطبيعية ذلك الجثمان المسعور المتعجل — ذلك الفتور .. تلك الراحة .. ذلك الخدر . ذلك التحطيم !! وهكذا تمر هذه العاصفة الشعرية بنفسي فتترك صدى من بعدها بعيد الرنين

إن السيد ميشال هو صاحب الجائزة .. ولا داعي لأن يسابقه أحد ، وأنا أقسم بأبولو المقدس أن له قريناً من الشياطين العظام .

أما السيد شفيق فقد حطم الفنجان فعلا فتطايرت شظاياه .. إنه فنجان عادي كفناجين المقاهي العامة ! وفنجان من خزف — مثل — لا أمل فيه .. له رنين خشن مزعج .. ألم يقل السيد شفيق :

كل جزء طار من فنجانها   كان ذكرى قبلة من فمها

وقبلة لا تتكون إلا من الفم .. فلا داعي لذكر أي فم هنا .. أم لعلها قبلات طائرة كالأطباق الطائرة ؟ .. إنه بركان ذو شظايا لا فم تذكر به حسناء !

وسيدي فوزي المعلوف — في الحق أقول — شيخ .. إنه نظر ونظر فرأى الفنجان لم ينكسر .. لقد فقد التحسر والتأثر بالمفاجأة ، ولا داعي للشعر بعد ذلك ! ولكنه في نفسه وخيال أحلامه نحو أشد الذهب في الجري وراء هذه الأبيات حتى تقطعت أنفاسه الانصار .. وليس من اللياقة في مخاطبة السيدات فيما أظن — والسيد الفقير لم يخاطب سيدة ، بالمعنى الصحيح ، أبداً — أن يخطر ببال السيد فوزي مثل هذا الكلام الرخيص :

هي ألقته وزادت حنقاً الفتى   يعتدي يوماً بتقبيل عليها

إن كلمة (ألقته) هنا باردة .. والأصح أن يقول — ما دام قد اعتدى عليها بالتقبيل — إنها ضربته فلقاً ! وكيف يوحي إلينا — ولو من بعيد — أن هنالك معتدين ؟! .. إنه أراد تنزيه السيدة ولكنه لم يجد طرف الخيط فخبط في النقد !

إن إخواننا الشوام شعراء ، وهم عند العبد الضعيف أشعر من المصريين .. الشوام يحلقون في خفة ، والمصريون يجرون أثقالهم ويحملون أوزارهم وأقصد بذلك أشقائنا الشريفة ! في مصر الأزهر .. وفي الشام .. في الشام الحدائق والينابيع والبرق .. وشبل سيدي أنور .. يكتب لنا مقارناً بين شعراء مصر وشعراء الشام !

أما بعد فالرسالة حلوة حتى لا نستطيع إيفاءه .. هـذا الحق خالط الدم والنفس . فإن جاءها قارئ برأى تامّـــا يحيل إلى أم روحه لينفض في أحضانها صدره ، وقد من لى — على كساد في القريحة — أن أكتب شيئاً في هذا الموضوع النقدى — وأنا لا أبرئ نفسيه نقداً . وإنما هو شيء أميل به إلى ظلال الرسالة .

والشكر كل الشكر للعداوى .. إنى أسمع صوته يحت تنفى كما يبين طفلا يحبو على الثرى .. نشكره على الرفق بالقراء وتقريبه منهم هذا القرب الصديق ، وحسبه إلهم هذا السمح الحانى .

سيـــدى الأستاذ : إن السيد ميشال صاحب الجائزة ، لو قمت لتبره شوف يحزنني — ورب الكعبة — فلك وشى ، ونحن الآن نحترق شوقاً وانتظاراً لرايك الفيصل .. رأى النابغـــة !

الخرطوم — وزارة المالية — محمد المهدى مجذوب

عند ما قدمت تلك المباراة الشعرية إلى القراء في عــدد مضى من الرسالة ، كنت أرى بها إلى شحذ القرائح واختيار الأذواق .

وكنت أبغى من ورائها أن أهب الملكات الناقـدة لأظفر بالناقد الموهوب ؛ بالنـاقـد الشعر الذى يتذوق اللفظة الموحية ، ويقف عند الصورة الملهمة ، ويحلق مع الخيال الطليق . كنت أريد هـذا كله وأهدف إليه ، لأحرك الخواطر الخابية حين أوقد لها مصادر الحركة ، وأثير المشاعر الغافية حين أهيئ لها مصادر الإثارة ... وعلى هذا الأساس جعلتها مباراة نقدية !

وتدفقت رسائل القراء من هنا وهناك ، حتى بلغ عـددها ستا وسبعين رسالة .. وكما أرسلت الحذوق وراء كل بيت في المباراة الشعرية ، وحشدت الفكر خلال كل مقطوعة ، لأحكم للفائز الأول من الشعراء ؛ فقد أطلت الوقوف عند كل رسالة في المباراة النقدية ، وأقمت الميزان لكل منها ، لأقدم الفائز الأول من النقاد . وانتهيت إلى أن عدالة التقدير تفرض على اختيار هذه الرسالة للنشر ، وجدارة صاحبها بالسبق — وهو الأستاذ الشاعر محمد المهدى مجذوب !

كانت هي خير رسالة لا مراء ، وكان هو خير ناقد بلا جدال . ولا أزعم أنى أرضى من هذا الناقد كل الرضا أو أطمئن إلى ذوقه كل الاطمئنان ، لأن مدار التفضيل هنا مقصور على مدى التفاوت بينه وبين غيره من النقاد . إنه يفترق عنهم في رهافة إحساسه بظلال اللفظة الشعرية ، فهو من هذه الناحية صاحب لفتة واعية . ولكن الذى لا يرضيني منه هو هذا المنظار الذى يركز « الرؤية النقدية » في لفظ بعينه أو مجموعة من الألفاظ تجتمع في مكان ، ثم يترتب على هذا التركيز أن تبدو الصور الذهنية القريبة من العدسة واضحة لعينيه ، وأن تبدو الصور البعيدة من هذه العدسة مغلقة بطبقات من الضباب ، تحول بين صاحب المنظار وبين الرؤية الصادقة في بعض الأحيان ! أريد أن أقول إن الأستاذ مجذوب حين أعجب بهذا الشعر الذى يفضله ، كان أشبه بالمصور الفوتوغرافي الذى سلط أضواء التصوير على مشهد واحد ووجه عدسة الكاميرا إلى زاوية واحـدة ، فتاهت المشاهد الأخرى وهى باهتة الظلال خافتـــة الألوان .. أقصد أنه لو عنى بتوزيع الضوء على المشاهد المختلفة عند الشعراء الأربعة ، لوقعت عيناه على كثير من الإشعاعات اللفظية المتوهجة في أفق آخر غير أفق ميشال معلوف ، هذا الشاعر الذى لم يسمح الناقـــد لعينيه أن تتحولا عن أفقه لتحلقا في غيره من الآفاق ... إن الذى يعجب بلون الورود يا سيـد مجذوب ، لا يحق له أن يغفل عن لون الفل والبنفسج وزهور القرنفل والياسمين !

بعد هـذا أحب أن أقول لهذا الناقد الذى يهزل منه خفة الظل وعذوبة الروح ، إننى لا أتهم ذوقك حين تقف إلى جانب ميشال لأنه خيال محلق وجناح رفاف ، ولكنى أتهم هذا الذوق حين يقعد إلى مواطن الجمال عند هذا الشاعر ثم لا يفطن إلى أمثالها عند غيره من الشعراء ... إن الذى آخذه عليك هو أنك

شئت في رعايته من أن ألتفت إلى سواه، وسرت في ركابه حتى أنصفت من عداه! وهذا هو شبيه الذي وقع فيه كل من اشترك في المباراة النقدية من النقاد، هؤلاء الذين رفع بعضهم شعر شاهين إلى قمة المجد وهبط بشعر الباقين إلى الحضيض، وأقدم بعضهم الأخير على مثل ما أقدم عليه بعضهم الأول بالنسبة إلى شعر فوزي المعلوف... مهما يكن من شيء فقد كانت رسالتك هي الرسالة الوحيدة التي أنصفت شعر ميشال وهو جدير بالإنصاف؛ كانت الوحيدة من بين خمس وسبعين... وحسبك مثل هذه الشخصية الاستقلالية في ميدان النقد الأدبي!

إن الأستاذ مجذوب يشفق من أن أحكم بالسبق لشاعر آخر غير هذا الذي حكم له، ويجهر بأن مثل هذا الحكم سببه — رب المكتبة — ويحزنه!! ألا يرى الأستاذ مجذوب أنه قد بلغ حداً كبيراً من الطمع حين يريد مني أن أحكم لشاعره المفضل بالسبق على غيره من الشعراء، بعد أن حكمت له بالسبق على غيره من النقاد؟! مهما يكن من شيء فإن إعجابي بشعر ميشال سيخفف من حدة هذا الألم ويلطف من شدة هذا الحزن. وموعدنا العدد المقبل أو العدد الذي يليه، حيث أعرض بالنقد المفصل لتلك المباراة الشعرية، معرجاً على بعض المآخذ في نقد الأستاذ مجذوب، كما كانت مآخذ الأول بما يرضى الحق والذوق والضمير.

وبقي بعد هذا كله إشارة الأستاذ الفاضل إلى شعرائنا وشعراء الشام. أتريد مقارنة؟ أرجو أن تنظر في شعر علي محمود طه، وأن تعيد النظر فيما كتبته عنه من فصول، ثم قارن أنت. قارن بينه وبين شعر أبي ماضي، أو بينه وبين شعر أبي شبكة، أو بينه وبين شعر أبي ريشة، ثم استمع إلى رأيك الموجز أو رأيك المفصل، معتمداً على مثل تلك الأسس النقدية التي أقمت عليها رأيي في شعر علي محمود طه، وأنا أستعرض شتى الملكات الشعرية عند هذا الشاعر الفنان.. وعندئذ سأوافيك وأوافي القراء بما شئت من مقارنات!

أما عن قصيدتك «ذات مساء» فهي شعر شاعر.. وسننشرها في عدد مقبل من الرسالة إن شاء الله.

لقطات مع أوسكار وايلد:

لما كنت أعرف أن الصفحات المخصصة لكم من الرسالة للقراء، مقصورة على الأمور الأدبية والمسائل الفنية؛ لما كنت أعرف ذلك لم أتردد في أن أسألكم شيئاً من التعقيب على ما عرض لي أثناء مطالعتي القصة «دوريان جراي» وأنا أكتب هذه الملاحظات بعد تأمل لم يتمخض عن نتيجة مرضية، وبخاصة لما في آراء كاتبها الكبير من شذوذ عجيب وخروج غريب، ونظر للأمور ومسائل الحياة من جهات ملتوية ومناظر مختلفة.. بيد أني لا أشك في أن الآراء والنظرات مهما كانت ممعنة في الشذوذ مسرفة في التطرف، لا أشك في أن يكون لتلك الآراء والنظرات مستمسك ترتكز عليه أو تفسير يرجع إليه.. ولهذا كتبت إليكم راجياً أن تظهروا لي شيء ما عز على تفسيره، وأن تجلوا ما لم أرتح إلى إدراكه، وإليكم بعض النماذج من خواطره وأفكاره:

«الحب مسألة فسيولوجية لا دخل لها في الإرادة؛ ولذلك فأنت ترى الشباب يحاولون الوفاء فلا يستطيعون، وترى الشيب يحاولون الخيانة فلا يستطيعون»!.. «الفن الجمالي يبدأ حيث يجب أن ينتهي»!.. «الجبن والضمير اسمان لمدلول واحد، وكل ما هنالك أن الضمير هو الاسم الرسمي، المعترف به على حد قولهم»!.. «الفرق الوحيد بين النزوة العارضة والعاطفة الدائمة، هو أن النزوة العارضة أطول عمراً من العاطفة الدائمة»!

ألا ترون أن لكل هذه الآراء خطرها الكبير على المجتمع وشرها المستطير على الأخلاق؟! ولكم خالص الشكر والتقدير.

«عمان — شرق الأردن» يوسف . ب

من الغريب أني حين فضضت غلاف هذه الرسالة وبدأت أقرأ ما جاء بها من كلمات، كان يجلس إلى جانبي مترجم هذه القصة وهو الأستاذ لويس عوض المدرس بجامعة فؤاد الأول.. وارتسمت على شفتي ابتسامة عريضة وأنا أدفع إليه رسالة الاحتجاج الأردنية قائلاً: أجب يا أستاذ! كيف تترجم للناس قصة من شأنها أن تهز دعائم القيم وتزلزل مكارم الأخلاق؟! وقال الأستاذ المترجم بعد أن فرغ من قراءة الرسالة في شيء من

الإمكار ؛ أو تعتقد هذا معه ؟ إنني أترك لك الجواب !

وهذا هو جوابي عما جاء برسالة الأديب الفاضل : إذا رأيت شيئاً من الشذوذ في الأدب أو شيئاً من الانحراف في الفن ، فعليك أن ترد الشذوذ والانحراف إلى أثر « البيئة المعنوية » في نفس الأديب أو شعور الفنان .. هذه البيئة المعنوية التي أحاطت بحياة أوسكار وايلد هي التي طبعت عقله بهذا الطابع الفكري ، ولونت مشاعره بهذه الألوان النفسية . لقد عاش أوسكار وايلد في بيئة منحلة وتنفس في جواء موبوءة .. كان يحلم بالقيم فيتعثرت من حوله القيم ، وكان يتطلع إلى المثل فتبددت من حوله المثل ، وكان يحاول أن يزن الأمور بميزانها الصحيح في وقت اختلت فيه شتى الموازين ! من هنا نشأ الكاتب الكبير ساخطاً على الدنيا ثائراً على الناس ، ساخراً من الأوضاع المألوفة والتقاليد الموروثة ، حتى غدت أكثر القيم الخلقية والإنسانية وهي في رأيه مجموعة من « الاصطلاحات » .. تلك التي « يتعامل » بها المجتمع لأغراض وغايات !!

الحب مسألة إرادية ؟ هذا « إصطلاح » رائف .. إنه مسألة فسيولوجية ! الضمير الثائر ؟ هذا « إصطلاح » فاسد .. إنه سلاح الجبناء ! الفن الجميل ؟ هذا « إصطلاح » فاشل .. إنه أداة التاجرين ! الزوجة الشريفة والعاطفة الناصعة ؟ إنهما « إصطلاحان » يفسرهما كل فريق حسب هواه ! وهكذا نجد أوسكار وايلد ، كافراً بكل ما تعارف عليه الناس ، لا يكاد يؤمن إلا بهذا الذي تعارف عليه بينه وبين نفسه ، وهذه هي « الواقعية الفنية » التي تجاوبت أصداؤها في أعماق ذاته ، منعكسة على وجهات نظره من واقعية المجتمع الذي عاش فيه ، والمجتمع وحده هو المسؤول عما أصابه من شذوذ وانحراف !

هذا هو التفسير الذي يمكن أن يرجع إليه الأديب الفاضل حين تعترضه أمثال هذه الآراء المنحرفة في قصة « دوريان جراي » .. أما عن خطرها الكبير على المجتمع وشرها المستطير على الأخلاق فأود أن أقول له : هون عليك ! ألا تخشى على المجتمع الشرقي مما يسري في كيانه من فنون المحرمات وضروب الموبقات ، ثم تخشى عليه من كلمات لأوسكار وايلد ؟ ! أو كذلك أن مجتمعنا الشرقي قد بلغ من الفساد والتأخر والانحلال ، ما جعل الكثيرين من أبنائه يجدون أنفسهم في كلمات الكاتب الكبير .. ومع ذلك فإن البقية الباقية من أصحاب المثل العليا والخلق القويم ، لا يمكن أن تنحرف عن طريقها في الحياة ولو امتلأ هذا الطريق بنوافث السموم !!

بعض الرسائل عند مقيبة البريد :

قلت وما زلت أقول : إني أوثر أن أنأى الذين يكتبون إلى في وضح النهار .. ولهذا أرجو أن يكشف هؤلاء القراء عن أسمائهم ، حتى أستطيع أن أرد على رسائلهم هنا أو في رسائل خاصة : الأديب (م) بالمدينة المنورة ، والأديب (ع . ص) بدمشق ، والأديب (ف . ش) ببغداد ، والأديب (ابن الصعيد) ببيروت ، والأديب (هـ . س . أ) بطنطا .. ولهم جميعاً خالص الشكر على وفائهم للخلق والعقل ، مع صادق التحية والتقدير .

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

مسرح المجتمع

كتاب جديد للأستاذ توفيق الحكيم، وهو كتاب متضخم يقع بين دفتيه إحدى وعشرين قصة تمثيلية مصرية - والترابط يجمعه في هذه القصص إلى تصوير نواح وأنماط مختلفة من المجتمع المصري، ويعنى عناية خاصة بما حدث في هذا المجتمع في السنوات الأخيرة من تيارات واتجاهات وشخصيات كانت نتيجة للهزات الاجتماعية التي أعقبت الحرب العالمية الثانية

ولذلك جاء الكتاب معرضاً لحياتنا الحاضرة، جمع كثيراً من الأشكال والألوان، فيحدث في مرآة الواقع الصادقة حوادث تمتع وتستهوي. ومن أبرز ما يحتويه هذا «المتحف» صور الأداة الحكومية وما يجري في مكاتب الوزراء وكبار الموظفين من الدقائق ووسائل الرصولية، كما في قصة «بين يوم وليلة» التي تعطينا نموذجاً لمدير مكتب الوزير، نراه متكرراً ملموساً في واقعنا، ومن أولئك الذين يزداد المرء في التلون؛ ومن محتويات «المتحف» صور الحياة النسوية في مراكز تطلعها إلى أوضاع جديدة، وقد تعجبني قصة «أريد هذا الرجل» التي حمل فيها الفتاة تذهب إلى الشاب لتخطبه. وهي صورة في غاية الطرافة والظرف، وأبدع ما فيها منطق الفتاة وهي تبرر مسلكها، إذ تقول لصاحبها إنها لا ترى أية غضاضة في أن تسعى من تخطبه كما «لا» ما دامت هي صاحبة الإرادة الأولى

«.. ولكن الغضاضة عندي هي أن أخضع إلى حبيسة ذلك الوهم الذي نسجته الأجيال من ضعفنا وحيائنا وعجزنا عن مواجهة الحقائق وتحمل النتائج، وأن سجينة ذلك الهوان والكبت والسخف الذي ألبسنا إياه خيال الرجال فجعل منا مخلوقات أشبه بعرائس المولد، أجسامها من حلوى وأثوابها من ورق مقصص مذهب، لا تتحرك إلا بيد الرجل، ولا تحمل أكثر من لمس

أمامية .. لا إمرية .. آن الأوان أن تكون لنا إرادة تصطدم بها بإرادة الرجل - وأن نجرؤ على أن نتقدم إليه ونعرض عليه، ونرغمه على أن يجيبنا بكلمة «نعم» أو «لا» كأنه عذراء، وأن نقنع حيوننا بخطر، وقد مضت وجهه حمرة الحياء» وهو منطق سليم جداً، لا يعقله العقل إلا أن يسلم به كاسم الشاب «الخطيب» وأجاب بنعم..

وفي «متحف الحكيم» صور أخرى متنوعة معجبة، ومما يسترعي الانتباه عنايته بتحليل النفس الإنسانية والتعمق في أغوارها، ومن أمثلة ذلك قصة «أريد أن أقتل» التي عرض فيها زوجين يتبادلان عبارات المحبة التي تصل إلى حد أن يخشى كل منهما أن يحمل الشيوعية في اليوم الآخر! وهي عاطفة - مهما صدقت - لن تجاوز الشعور الطاهر، ولكنه يظل سائراً بهما حتى يقدمها أمام القتل الذي لا بد منه لأحدهما، فيبرز ما استكن في الأعماق من إيثار النفس، وإذا كل منهما يود أن يقدم الآخر فداء له..

وفي القصة أيضاً لمحة بارعة إلى ما أحدثه التكبت في نفس الفتاة التي أرادت أن تقتل أحد الزوجين، من اضطراب عصبي وقلق نفسي

ومما يسترعي الانتباه أيضاً في «متحف الحكيم» تصويره المرأة تصويراً كريماً لا يتفق مع ما وصف به من أنه عدو المرأة، فقد أتى لها بنماذج طيبة كتلك الفتاة المصرية المفكرة الواعية التي خطبت فتاها، ومثل «الفتاة المحترمة» تلك صور مثاليها في «الحياة النيابية» تصويراً جدياً وانتهى بها إلى موقف مشرف كريم عندما اضطرت إلى الاستقالة من عضوية البرلمان. ولا شك أن عدو المرأة هو الذي يرد لها الغائب، وها نحن نرى الأستاذ الحكيم على عكس ذلك، فما أحراه أن يكون «صديق المرأة»

والأستاذ الفنان يجنح في هذا «المتحف» إلى «التجسيم» تجسيم المحاسن والمقابح وعرض النماذج البشرية كما هي مع نظراته في الحياة التي يلقيها على ألسنة أشخاصه، ولكنه يترك لك الحكم واستخلاص الحقائق، حتى السخرية لا يعنى فيها لأنه يكتفي بإبراز السمات ويدعك وشأنك معها - وهو يعنى بأن يقدم إليك طريقاً يمتع نفسك أكثر مما يعمل على اجتذاب مشاركتك الشعورية في الجو الذي يصوره

وبراعة الأستاذ توفيق الحكيم في الحوار مقررة معروفة وأساس هذه البراعة حرصه على الواقعية بحيث ينطق الأشخاص بما يمكن أن يقولوه في الطبيعة والواقع، ويجرى على الألسنة العبارات الحية التي تأتي حيويتها من التقريب بين اللغة الفصيحة واللغة الدارجة، بحيث يرفع الثانية إلى الأولى. هذا وقد لاحظت خروجا من واقعية الحوار في موضعين، الأول في ختام قصة «بين يوم وليلة» إذ يجعل حاجب بيت الوزير وهو في موقف الجاني أدرك مكانة الوزير لشدة حاجته إلى معونته جملة يقول له: «إن صاحب السلطة سهولة يصدق الملق وبسرعة ينسى النفاق» فهو يصفه بأنه يتملق ويتشدق في الوقت الذي يعمل فيه على كسب رضائه ونيل مساعدته. وعلى ذلك يظهر للقائل الحقيقي وهو المؤلف الذي يريد التعبير عن هذه الحقيقة فلم يجد لها غير ذلك الذي لا تناسبه في موقفه. والموطن الثاني في حديث الفتاة التي سخرت الرجل، عندما شبهت المرأة في انتظار من يخطبها بالطائر «يحلق على أعشاب المروج في انتظار يد القانص الذي قد يأتي وقد لا يأتي» ولا شك أن الطائر لا ينتظر الصائد، وإنما هذا بمجيئه، بخلاف المرأة التي تنتظر متمنية.

وبعد فإني أحيي الأستاذ توفيق الحكيم أطيب التحية، وأقدر - من جانب - اتجاهه نحو المجتمع واستجابته لدواعيه، بهذه المجموعة من الأقاصيص القوية الناضجة.

وقد كان الأستاذ - في أكثر إنتاجه الماضي - يتجه إلى الأفكار المجردة التأملية، ولكنه شعر في الفترة الأخيرة بنداء المجتمع فلباه، وما أحسن ما فعل! وأنا - مكرها على هذه «الأنا» لأتحمل تبعة ما أقول - أعتقد أن من يمشي على الأرض ساعيا مع الناس في حركة ونشاط، خير وأبقى ممن يحلق مع الشرفات في أجواز الفضاء ...

مسرحية «النبيل»

هذه هي الرواية الثانية لفرقة المسرح المصري الحديث، قدمتها في الأسبوع الماضي على مسرح الأوبرا الملكية. وهي للكاتب الفرنسي موليير، وكان قد ترجمها المرحوم محمد مسعود بك

كشكول الأسبوع

● كان يوم الاثنين الماضي (٤ ديسمبر) موعداً لانتخاب اثنين من المرشحين لشغل الكرسيين الخاليين بمجمع فؤاد الأول للغة العربية. ولما كان عدد الأعضاء الذين حضروا جلسة المجمع أقل من نصاب الثلثين لانتخاب العضو - لأنه لانتخاب العضو من ٢٦ صوتاً - فقد تقرر تأجيل الانتخاب إلى جلستها يوم الاثنين ١٩ ديسمبر. وقد ترشح ستة، ثلاثة للكرسي الخالي بوفاة الدكتور محمد شرف بك، وهم الدكتور أحمد عمار والدكتور [illegible] والأستاذ محمد أحمد الشراوى، وأربعة للكرسي الخالي بوفاة الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني، وهم الأساتذة توفيق الحكيم وتوفيق دياب بك ووحيد [illegible] عبد القادر.

● [illegible] من مجموعة الإعلام [illegible] الدكتور طه حسين بك في إحدى حلقات تكريمه [illegible] لتحسين [illegible] الأدب.

● بينا خلاف بين جريدة الأهرام وبين الكاتب الكبير الأستاذ محمد زكي عبد القادر، أدى إلى امتناعه عن العمل بالجريدة، وكان موضوع الخلاف مقالا كتبه الأستاذ في وجهة النظر المصرية في المفاوضات بين مصر وبريطانيا.

● من أحسن الكتب التي ظهرت أخيراً كتاب «من بلاغة القرآن» للأستاذ الدكتور أحمد أحمد بدوي المدرس بكلية دار العلوم، وهو يقع فيما فصلت في أصول الأدب، ثم أخذ يبحثها في المباحث القرآنية الأدبية، وقد جمع إلى [illegible] القرآن من البحوث البلاغية، والكتاب يتناول بحسن العرض ودقة النظر وبراعة الطبع.

● لوحظ أن كثيراً من موظفي الهيئة المشرفة على حلقة الدراسات الاجتماعية المنعقدة بمصر الآن - من اليهود [illegible] مع ملاحظة أن الحلقة تبحث في موضوعات ومسائل عربية بحتة.

● لما دعيت سوريا إلى الاشتراك في حلقة الدراسات، سألت: هل التصويت مقصور على الشعوب العربية أو يشمل الأجانب؟ فأجيب بأنه شامل. فاشترطت سوريا للاشتراك أن يكون التصويت قاصراً على العرب، فوافق على هذا الشرط. ثم سألت سوريا أيضاً عن جنسيات الخبراء الأجانب وأعمالهم، فقيل لها إن هذا من اختصاص مصر لأن الحلقة تعقد بها. والسؤال الآن: هل سألت مصر؟

السيد « هارباجون » رجل بخيل ، بل هو البخل مجسماً في شخصه ، لا يرى في الحياة ما يستحق العناية غير المال ، ولا يقيم لغيره وزناً . يقتر على نفسه وعلى ولديه « كليانت » و « إيليز » أشد التقتير ، ويحرص على المال الحرص الفاحش ، ويفرض على القروض شروطاً قاسية ، ويصفه أحد أشخاص المسرحية بأنه إذا سلم قال « إني أقرضك السلام » ولا يقول « أهدي إليك السلام » لأن الإهداء أبعد شيء من حسابه ، وهو يضن أن يجري على لسانه !

وهارباجون في الستين من عمره فقد زوجته أم ولديه ، ويأبى مع ذلك إلا أن يتزوج فتاة في سن ابنته « إيليز » هي « ماريان » التي يحبها ابنه « كليانت » ويدور الصراع بين الأب المتصابي والابن العاشق على ماريان ، يريد كل منهما أن يتركها له الآخر

ويصاحب ذلك علاقة حب أخرى بين « إيليز » ووكيل أبيها الفتى « فالير » في الوقت الذي يريد فيه هارباجون أن يزوج ابنته إيليز من رجل مسن

وأخيراً يدبر كليانت مكيدة لأبيه إذ يسرق الصندوق الذي جمع فيه ماله . فيجزع هارباجون لفقد ماله ، ويطالب المحققين بضبط السارقين ، فإذا لم يعثر على السارق طالب بالقبض على الناس أجمعين !

ويتهم فالير بالسرقة ، فيدور بينه وبين هارباجون حوار طريف بديع ، إذ يقر الأول بالسرقة وهو يعني سرقة إيليز التي اتفق معها على الزواج ، ويحمل هارباجون الكلام على المال . ثم يظهر كليانت ويعترف بالسرقة ويبدي استعداده لإعادة الصندوق إذا تنازل له أبوه عن ماريان ، فلا يتردد الرجل في إجابة هذا الطلب ما دام سيرد إليه ماله الذي هو كل شيء لديه

ذلك ملخص مسرحية « البخيل » وهي تقوم على تحليل هذه الشخصية العجيبة ، ورسم صورة البخيل كما هي في كل زمان وفي كل مكان ، يتجه كل شيء في الرواية إلى إلقاء الضوء عليها ، لاظهار سماتها وخصائصها ، فإذا أنت أمام شخصية تعرف لها في الحياة أشباهاً ، وإذا أنت تشارك المؤلف نظرته إليها وسخريته مما يجري منها وحولها ، وإذا أنت إزاء مفارقات تغرق في متضحك لا يمسه تدبير ولا تعمد ، لأن روح الدعابة يجري في الحوار وفي المواقف طبيعياً منساباً في جسم الرواية من أولها إلى آخرها

والحوار مسوق في أسلوب أدبي ، وهو يجنح في أول المسرحية إلى التطويل في الحوار بقصد التعريف بالأشخاص أو الإيحاء بالحوادث وتشيع فيه كلمات كثيرة من الشرف والحب البريء والفضيلة وما إليها مما هو أدنى إلى الطريقة المباشرة في إلقاء الدروس . .

وقد أخرج المسرحية الأستاذ زكي طليمات ، وأهم شيء يظهر به جهده في الإخراج « إسناد الأدوار إلى الشاغلين والممثلات ، وتحريك المجموعة كلها في اتجاه معبر من جو الرواية ، ويستجيب من الأستاذ زكي طليمات أنه يجعل كل فرد على المسرح جزءاً حياً من الحياة التي تجري فوقه ، إذ يظهر الظلال والأصداء على سمات الواقفين الساكتين كأنهم يتحاورون مع الناطقين . على أني لا أدري لم ظهرت إيليز وفالير في أول الرواية على مؤخرة المسرح ، وكنت أوثر أن يتقدما نحو الجمهور . وقد رأينا النور يسطع فجأة عندما دخل كليانت معلناً أنه السارق ، ويبدو أن ذلك مقصود به ظهور الحقيقة الساطعة بعد الظلام الذي كان يجري فيه التحقيق ، فهو تعبير بالضوء ، ولكن مع ملاحظة هذا المعنى المعنوي شعرت بالانتقال المادي الفاجئ من الظلام إلى النور ، وهو انتقال يوغل في البعد عن الواقعية

وقد مثل دور البخيل سعيد أبو بكر فأجاد فيه إلى حد بعيد حتى ليخيل إلى أنه لم يخلق إلا ليكون هارباجون البخيل ، ويليه في الإجادة صلاح سرحان في دور فالير ، فقد كان موفقاً في تمثيل الخادم اللبق الذي يستجلب الرضى بملقه وفي الوقت نفسه يصل إلى ما يريد . وقد برعت نعيمة وصفي في دور « فروزين » المرأة البارعة التي أرادت خداع البخيل عن شيء من ماله ، وقد كان حرياً أن ينخدع لما يدغدغه سمعه ، ولكنه البخيل .

وكان عدلي كاسب حقيق الظل . وقامت كل من زهرة العلا وانشراح الألفي بدوريهما في توفيق ، غير أن الأولى تحتاج إلى مران في إشباع النطق الدرق الفصيح

حول مشكلة القراءة :

تلقيت من الأستاذ عبد الخالق الشهاوي ، رسالة يعقب فيها

على ما أثير في صفحات « الرسالة » حول مشكلة القراءة . ونحيل إلى أهم ما يقوله :

« ليس بي حاجة إلى أن أقرر أن ٩٠ في المائة من طلبة جامعاتنا على أقل تقدير — يهتمون — إلى أبعد حدود الاهتمام — بالرياضة والسينما ، وبقراءة المجلات الرخيصة التي لا تحمل حتى قشور الثقافة ، بل إن بعض الطلاب .. ولا أقول الطالبات .. يتابعون أحدث تطورات الأزياء ! فإذا بقي لهم متسع من وقت شبابهم « الحلو » فإنما هي أيام قبيل الامتحان « يحفظ » فيها ما يحفظه ويتقلو تحته .. وإذا هو بعد سنوات في المجتمع المسكين يغذي جيلا أو يدير عملا عاما أو خاصا ..

« وتعود أصول هذه المأساة أولا إلى الأيام الأولى في البيت المصري المريض ، وثانيا إلى النقص الكبير الذي نعانيه في تنظيم برامج التعليم في جميع مراحله ، وثالثا إلى الأساتذة والقائمين على تكوين العقل المصري .. فالجامعيون منهم ليس لهم من الجامعية سوى الاسم ، أما في الدرجات فالتبع هو الطريقة الفرنسية « المتحضرة » التي تسير بالجيل إلى مارس ٩٤٠ ، « والهروب » من أساليب تمام لا يكون متطلعين ، وإنما يوجد موظفين يقطعون الوقت بالحديث عن العلاوات وتقسيم القضايا ودور السينما . وهكذا نسير في دائرة مفرغة : طلبة لا يعرفون واجباتهم يتخرجون ليوجهوا جيلا يصير إلى مصيرهم التافه ..

« فالمشكلة ليست مشكلة مال ، وإني لأخجل حين أرى مكتبة الجامعة والمكاتب العامة تصفر صفير القفار .. فليست الأزمة اقتصادية ولا هي أزمة في العاطفة ، فكلتيهما بحمد الله تشكر المجتمعة وعدم التصريف .. وإنما هي في صميمها « أزمة سياسية » وإليك الدليل .

« كلنا يحفظ تلك الكلمة الخالدة « الشعب الجاهل أسلس قيادا من الشعب المتعلم » وكلنا يعلم أن التعليم ثورة خفية وقوة كامنة رهيبة .. هي النور الذي يخشاه خفاش الاستعمار والاستبداد الذي رسم طريق التعليم الجاف العقيم »

وإذا أوافق الأستاذ الشعراوي على معظم « السياسة » في الموضوع ، فنحن لا نزال نسير في تعليمنا على تلك الأسس التي أوجدت لنا ، وذلك بدافع « القصور الذاتي » وبدافع العقليات التي كونها التعليم الاستعماري ولا تزال تشارك في توجيه التعليم

وقد مس الأستاذ ماريا بمسألة « البيت المصري » باعتباره جذرا من جذور مشكلة القراءة المتصلة المتلاحقة ، فالناشئ عندنا يشب — غالبا — في بيت ليس فيه للكتاب مكان . وأذكر أني شاهدت معرضا لكتب الأطفال أقيم في القاهرة من نحو سنتين ، كان يحتوي على كتب بلغات أجنبية وأخرى باللغة العربية ، فرأيت هناك عددا كبيرا من الأجنبيات يفحصن ، ويتأملن الكتب المعروضة بعناية وانتباه ، كي يخترن لأولادهن ما يغريهم بالقراءة ويجدي على عقولهم ، ولم أر في المعرض مصرية واحدة — وهذا طبيعي ، لأن الأم المصرية نفسها لا تقرأ ، فما الذي يحفزها على طلب ما يقرأ لأولادها !

عباس خضر

مجلس مديرية قنا

يعلن في المناقصة العامة توريد الكراسات والمطبوعات وعدد التجارة للأشغال اليدوية ومراير الأزهار وخامات لأشغال الإبرة وقسم النسيج اللازمة للمدارس وقد تحدد ظهر يوم ٣١ ديسمبر ١٩٥٠ لفتح العطاءات ويمكن الحصول على الشروط مقابل ٥٠ مليما يضاف إليه ٦٠ مليما أجرة البريد وتقدم العطاءات على ورقة دمغة ترسل باسم مجلس مديرية قنا

٦٦١٥

رسالة الفن

مسرحية «ابن جلا»

تأليف الأستاذ محمود تيمور بك
إخراج الأستاذ زكي طليمات
تمثيل فرقة المسرح المصرى الحديث
على مسرح دار الأوبرا الملكية
للأستاذ أنور فتح الله

بدأت فرقة المسرح الحديث حياتها فى منتصف هذا الشهر، وكانت بالأمس أمنية فى نفس الأستاذ زكى طليمات، ظل يجاهد ويكافح حتى أخرجها إلى عالم الوجود، تجمع شمل خريجى المعهد العالى لفن التمثيل، ولتكون مبدأ؟ يمكن فيه عن النهوض بالمسرح المصرى

ونحن إذ نرحب بهذه الفرقة الفتية بالمواهب الشابة، والعقول الفتية، والثقافة الفنية، لا يسعنا إلا أن نرجو لها التوفيق فى أداء رسالتها، ونتمنى أن يكون مولدها بدء نهضة جديدة فى المسرح المصرى

وقد افتتحت الفرقة موسمها التمثيلى بمسرحية «ابن جلا» للأستاذ محمود تيمور بك

وقد اتخذ المؤلف حياة الحجاج بن يوسف الثقفى موضوعاً لمسرحيته. واختار الفترة من سنة ٣٢ هجرية إلى سنة ٩٥ هجرية ليصور منها حياة الحجاج من بدء ظهوره فى تاريخ الدولة الأموية إلى يوم وفاته. فصوره فى الحادية والثلاثين من عمره وقد تولى أمر عسكر عبد الملك بن مروان بالشام. ثم صوره قائداً للجيش الذى فتح مكة وانتزعها من عبد الله بن الزبير. ثم والياً على المدينة ثم والياً على العراق، إلى أن يصوره رهين على فراش الموت.

وقبل أن نعرض المسرحية، أو نعرض لمدى توفيقها أو إخفاقها علينا أن نحدد الفرق بين التاريخ والمسرحية التاريخية

(١) فالتاريخ يسجل حقائق حدثت فى الماضى، ولم تعد تمتد إلى الحاضر لتؤثر فيه. أما المسرحية فحاضر مستمر فى الحاضر؛ ومادة التاريخ وثائق ومخطوطات، وقيمته إخبارية بحتة. والمسرحية على العكس من ذلك، فهى لون من ألوان الأدب التى تقدره المستمرة على الإثارة الفكرية والعاطفية. فالمسرحية التاريخية إذن تصور الواقع التاريخى تصويراً يبعث حياته على نحو ما، وترتب هذا الواقع فى صورة فنية تثير المشاهد، وتولد الأثر الذى يهدف إليه المؤلف. فالمقياس إذن، هو مدى قدرة المؤلف على بعث الحياة فى الواقع التاريخى، ومقدار توفيقه فى التأثير فى المشاهد. ولتحديد ذلك نستعرض المسرحية

— فى سنة ٧٢ هجرية، نرى الحجاج وقد أصبح قائداً فى جيش أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان. وقد ظهرت فى حياته امرأة هى هند الأهوازية...

وبعد ذلك بعام يصبح الحجاج قائداً لجيش الخليفة بالقرب من مكة، ونرى ابن حكيم وابنته عفراء يدخلان عليه، ويستنجزانه وعده لعفراء بالزواج، فيردهما خائبين. وعندما تزورها الأهوازية تسأله عن الفتاة فيجيبها بأنها رفيقة صبى، وأنه سيتزوجها، فتثور، وتثور غاضبة مهددة، فيصرفها فى لين. ويعود أحد الرسل فيخبره بأن ابن الزبير قد أبى الاستسلام، فيأمر بضرب الكعبة بالمجانيق... ويعين الحجاج والياً على المدينة، ويطلب من عبد الله بن جعفر أن يزوجه ابنته أم كلثوم، فيأبى لأنه هاشمى، وتقتحم الأهوازية عليهما القاعة، فينصرف عبد الله، وتتوسل إليه الأهوازية أن يعرض عن هذا الزواج لأنها تحبه، فيصر على عزمه، وتسبها الغيرة، ويثيرها الغضب فتهدده بالكيد له

— ويصبح الحجاج والياً على العراق.. ونراه فى قصره بالكوفة يسأل عن أنباء الأهوازية بعد أن هربت. وإذا بسهم يصيبه فى كتفه، وتقبض الشرطة على الضارب، فإذا به الأهوازية!.. وقد أرادت أن تقتله تنتقم. وتطلب منه أن يقتلها ليخلصها من العذاب الذى تقاسيه، فيقترب منها، مبدياً إعجابه بقتلها،

(١) فى الأدب والنقد للدكتور محمد مندور

وجبروتها الرائع ، وتكاد شفتاها تتلامس ، ولكنه يقذف بها بقوة بعيداً بأن الحب لا يقع منه ببال . ثم يخبرها بأنه سيخطب هند بنت أسماء . وتنتهز الأعوازية فرصة غفلته عنها فتلق نفسها في النهر ، فيصيح الحجاج بالجند ليدركوها ، ويأتوه بها حية أو ميتة — وتستعين الأعوازية بشبيب على الحجاج ، وتعده بأن تكون له ، إذا مكنها من الحجاج الذي أذلها — ويعلن شبيب أنه سيناجي " الكوفة الليلة ، ليظفر بالحجاج — وفي نفس الليلة ، نرى الحجاج في قصره ، وقد حاصره جند شبيب ، وأرسل له رسولاً يفاوضه ... ويدخل الرسول وإذا به الأعوازية أيضاً! ويقبل عليها الحجاج سائلاً — لائماً — يصرح لها بالحب وكان بالأمس يرفض حبها ، ويذل قلبها ، ولكن الأعوازية تطلب منه أن يسلم نفسه فيركع عند قدميها في تذلل قائلاً « وحياتك يا أعوازية رحماك » فتقول له « دمي دمي ... لا تخدعني وتصر على أن يسلم نفسه ، فيأبى ، فتنصرف ... وغير رحمة ... وتدوى الأبواق — وينظر الحجاج من الشرفة فيرى الجند يطوقون القصر ، فيقول مهتاجاً « إنقلب المرأة التي خدعتها فخدعت من صاحبها » ثم يأمر الجند بأن يرموا عليهم الأعوازية بالنبال ... فيقول له عنبسة « أتضرب ظهر من حنت على إحساناتك أيها الأمير ؟ » فيأمر الحجاج جنده بأن يسددوا الضرب

— وفي سنة ٩٠ هجرية — ترى الحجاج في مقر ولايته بمدينة واسط — وقد أشتد المرض — وترى الأعوازية وقد عادت إليه ، وأصبحت سيدة قصره — واشتد العلة بالحجاج — ويأتيه كاتبه يزيد فيخبره بأن سعيد بن جبير ينتظر الإذن في الدخول ليحاسب في أمر خروجه مع ابن الأشعث — فيأذن له في الدخول ...

— ويأتي سعيد بن جبير وهو مقيد بالأغلال — ويدور الصراع بينهما — وينتهي بأن يأمر الحجاج بقتل سعيد ... وعندما يقتل ، يضطرب الحجاج ، ويجزع ، وتحتبس أنفاسه ... ثم يهدأ قليلاً — ويأتيه رسول قتيبة بحفنة من تراب الصين ... فيأمر أن ترف البشرى إلى أمير المؤمنين . ويلفظ نفسه الأخير . هذه هي المسرحية — وقد التزم المؤلف جانب التاريخ في تصوير حياة الحجاج السياسية — وعا كتبه المؤرخون في تصوير حياته الخاصة وعاداته وميوله وطباعه ، وأخبار غزواته ، وآرائه في الحكم والسياسة ...

وأراد المؤلف أن يبعث الحياة في هذه الصورة التاريخية ، وذلك بتصوير الجانب العاطفي في حياة الحجاج .. فخلق من مخيلته شخصية الأعوازية وجعلها تحتك بالحجاج في مواقف عدة ، وحاول بذلك أن يجسم الصراع بينهما وينفذ من هذه الزاوية الإنسانية إلى قلب المشاهد ليؤثر فيه . فهل وفق المؤلف في فرضه؟ ذلك ما سنحاول أن نبينه بمناقشتنا لجانب العاطفي الذي صوره المؤلف في مسرحيته

وأول ما نأخذه على المؤلف هو اعتماده على المخيلة في تصوير المرأة في حياة الحجاج ، وكان من الخير له أن يعتمد في تصويره على امرأة حقيقية لها مع الحجاج قصة عاطفية فيجسم هذه القصة ، ويكملها من مخيلته ليصل إلى غرضه ، وبهذا تبدو الصورة للمشاهد قريبة من الحقيقة ، فيستجيب لها . أما أن يعتمد على صورة خيالية لا تمت لوقائع التاريخ بأية صلة ، فهذا من شأنه أن يشعر المشاهد بغرابة الصورة ، وينفره منها

ومن حيث الصراع العاطفي ، وهو الأساس الأول في التأثير على المشاهد في مثل هذه المسرحية التاريخية . نرى أن المؤلف لم يحتفظ بالتوازن بين قوة الحجاج وقوة الأعوازية ، ليقيم بينهما صراعاً عاطفياً متكافئ القوى فالأعوازية لم تستطع النفاذ إلى قلب الحجاج في أي موقف من المواقف . بل كان موقفها سلبياً في كل موقف التحمت به . فهي تثار وتثور وتهدد عندما ترى عفراء ، وتعلم أنه سيتزوجها ، فيصرعها الحجاج بكلمة .. وعندما تعلم رغبته في الزواج من أم كلثوم تفرعنه ، وعندما تعلم بعزمه على الزواج من هند بنت أسماء تلقى بنفسها في النهر .. وعندما يحاصره شبيب ، يوهمها بأنه يحبها ، فتفك الحصار عنه .. وعندما يفك الحصار ، يأمر جنده بضربها بالسهام . ومع كل هذا تعود إليه وبهذا انتفى الغرض الأول من خلق هذه الشخصية وهو إقامة الصراع بينها وبين الحجاج

وعلى الرغم من كثرة المشاهد العاطفية بين الحجاج والأعوازية لم يستطع المؤلف أن يعطينا أية فكرة من حياة الحجاج العاطفية . فقد صوره مستجيباً حيناً ، عازفاً أحياناً ، وهو مع هذا منصرف عنها يرغب في الزواج من عفراء ، ثم من أم كلثوم وهند بنت أسماء

ليحقق أغراضه السياسية

وعندما فرت منه جعل يبحث عنها، وعندما حاولت قتله أبرزه متسامحاً معها، ثم جعله يقترب منها مظهراً افتتانه بها ثم راح يقذفها على الأرض مدعياً أن الحب لم يعد منه ببال، وعندما ألقت بنفسها في النهر راح يصرخ في الجند أن يأتوه بها حية أو ميتة، وعندما ألقت شيئاً يعوق الحصار عنه، أمر الجند يضربوها بالسهام. ومن هذا يبدو جلياً أن المؤلف كان يتعمد في كل خطوة يخطوها عن الغرض الذي خلق من أجله شخصية الأهوازية، وأنه كان يفسر الغموض بالأشتات

ولقد كانت المشاهد العاطفية بين الحجاج والأهوازية مكررة ومتشابهة تمام الشبه. فموقف الأهوازية من الحجاج عندما سمعت أنه سيتزوج من عفراء، هو نفس موقفها منه فيما يختص بأم كلثوم، وكذلك فيما يختص بهند. فهي تثور ثم تهدأ ثم تعود لتقف نفس الموقف، وكذلك موقف الحجاج منها فهو كل مرة متساهل متسامح، وعندما تحاول أن تنال منه، يقترب منها ثم يبتعد نافراً، ثم يعلن أنه سيتزوج من غيرها

هذا، وفي كل مرة تظهر فيها الأهوازية لتقتحم الحجاج، أو تختفي فراراً منه، كان يصاحب ظهورها أو اختفاءها مفاجأة مفتعلة، بعيدة عن المنطق والعقل. فقد ظهرت في حياته فجأة، مدعية أن روح [illegible] وتباع بخس وجهها لتنقذه من غضب الخليفة، وهذه ولا شك طريقة سينمائية لا يقبلها عقل أو منطق. وقد أمرها الحجاج بالذهاب إلى مكة، فعادت إليه متخفية في صحبة عبد الله بن منصور في اللحظة التي كانت يخطب فيها أم كلثوم لتفسد عليه خطته. ثم فرت منه لتعود إليه فجأة متخفية في ثياب فتى أعرابي لتقتله. ثم تلقي بنفسها في النهر لتعود متخفية في ثياب رسول من رسل شبيب لتفاوضه في تسليم نفسه، وبعد أن يأمر الجند بضربها بالسياط تراها وقد عادت إليه راضية قريرة ... وبهذا الافتعال والتلفيق بدت هذه الشخصية في صورة خرافية بعيدة عن الطبيعة والصدق.

ومن هذا يتضح أن الجانب العاطفي الذي صوره المؤلف من مخيلته، بعيد كل البعد عن الحياة، ولا تأثير له على المشاهد.

وبهذا فقدت المسرحية القدرة على بث الحياة، والإثارة، ولم يبق فيها سوى الجانب التاريخي

وقد أساءت شخصية الأهوازية إلى الصورة التاريخية للحجاج، وتعارضت مع أبرز صفاته، وهي القسوة والصرامة، فالحجاج الذي لا يتسامح أبداً، كان متسامحاً معها، يعفو عنها وقد حاولت قتله، بل إنه ليستخدم أساليب النساء في الخداع عندما حاول استمالة قلبها في مشهد الحصار، وقد أظهر المؤلف الحجاج في موقف يتنافى مع الشهامة العربية عندما أمر الجند بضرب الأهوازية بالسياط بعد أن أنقذته من حصار شبيب.

والخط الذي سار عليه المؤلف في تتبع الحجاج في فترات حياته المختلفة، هو نفس الخط الذي سار عليه المؤرخ والمترجم، ولانعدام الصراع بدت المسرحية من حيث الموضوع، وكأنها عرض عادي لحياة الحجاج. ولتقيد المؤلف بحرفية التاريخ، وبطلان تأثير الجانب العاطفي الذي تخيله، انقطعت صلة المسرحية بالحاضر وأصبحت قيمتها إخبارية بحتة

هذا، وعلى الرغم من ولع المؤلف بالتاريخ وتقيده به، فقد فاته أن يستغل امرأة قوية لها قصة مشهورة في حياة الحجاج، وكان بينه وبينها صراع عنيف، لو جسمه المؤلف وسلط عليه أضواءه، وركز فيه موضوع مسرحيته، لنفذ إلى قلب الحجاج... تلك المرأة هي هند بنت أسماء التي تزوجها قسراً، فذهبت إلى الخليفة تشكو إليه أمرها، فأجبر الحجاج على تطليقها، وأمره أن يقودها إليه وهو يمسك بجملها، ليتزوجها. فلما كانت في بعض الطريق، ألقت بدينار، وقالت للحجاج: «قد سقط مني درهم فأتني به» فبحث فوجد ديناراً فقال: «بل هو دينار» فقالت: «الحمد لله الذي أبدلنا الدينار بالدرهم» وهي أيضاً التي قالت فيه

وما هند إلا مهرة عربية ... سليلة أفراس تحللها بغل
فإن ولدت مهراً فلله درها ... وإن ولدت بغلاً فجاء به البغل

فلو استبدل المؤلف الأهوازية بهند، وكمل الحقيقة بالخيال لأقام صراعاً عاطفياً قوياً يرتكز على أساس من الواقع

وإذا نظرنا إلى بناء المسرحية، وجدناها لا تقتصر على حادث مسرحي واحد يتركز فيه موضوعها، بل هي تتضمن

البريد الأدبي

حول «كلمة غريبة في مقال»

قرأت في عدد ٩٠٩ من الرسالة الغراء كلمة للأديب السيد عبد الخالق عبد الرحمن من بغداد يعلق فيها على مقال الأستاذ علي العماري بعنوان (دم الحسين) وقد استغرب السيد عبد الخالق وأخذته الدهشة من تطرق الأستاذ العماري إلى رواية تعد من الخرافات والأباطيل! أما الرواية فهي: أن (الفارس الذي منع «الحسين» الماء مات عطشان بالرغم من أنه كان يسقى الماء حتى يبهر ثم يعود فيشرب حتى يبهر وما زال كذلك حتى لفظ أنفاسه) ومنشأ الاستغراب عند السيد عبد الخالق من أن تكون للحسين قضية يظهر أثرها في حياة مانعه الماء. وأحسب أن الشك يسري بالأديب المستغرب إلى حديث «النابلة» التي كانت تظل النبي (ص) وإلى كراع (الغار) التي أشبعت جيوش النبي، وإلى مائدة عن الساكنين التي لازمت أبا جهل حين كان يسخر من مشية النبي، وإلى حديث «التابانة» على حد تعبير الأستاذ العقاد وغير ذلك من الروايات الثابتة التي تعج بها بطون الكتب الدينية والتاريخية. وقد تستغرب السيد عبد الخالق هذه المقارنة بين النبي (ص) وبين سبطه الحسين، وأؤكد له أن موقفي حيال هذه الروايات التي تستدعي الطبيعة موقف التشكيك والتأمل، ولكن تصديق رواية (الفارس) التي ذكرها الأستاذ العماري قد لا يعترضه الشك لا لسبب ديني ولكن لسبب آخر يستند إلى «علم النفس» وحده، فإن قتل الحسين على تلك الصورة التي تحدث عنها التاريخ (الخالد) لم يكن هيناً على القاتلين. ولعل هذا (الفارس) الذي منع الحسين الماء قد ندم وشعر بجسامة ذنبه مع أنه بات من القاتلين الذين زعم (الفارس) أنه منهم، أو أن الضمير الإنساني الذي استيقظ فيما بعد نبهه إلى فظاعة الجرم فانتهى به العطش إلى السقم الشديد والكآبة ثم لا أستبعد له العقيدة

الحجاج، والأثر الصوتي القوي المشحون بالغضب والانفعال.

وقام الأستاذ أحمد الجزيري بدور أبي بردة، وهو رجل تقي ورع سامح، فبدور هذه الشخصية بروحها الخفيفة الشفافة، وأثار الروح المرحة في القلوب بحركاته الطبيعية، وأدائه الصادق، وأثبت في المحطات التي ظهر فيها أنه ممثل كوميدي راسخ في فنه

وقام الأستاذ سيد أبو بكر بدور الحاجب بهروز، فكان موفقاً فيه، وأضحك المشاهد بتصويره الكاريكاتوري لهذه الشخصية

وقام الأستاذ محمد الطوخي بدور ابن حكيم فصور بصوته القوي المتطلع حنق الأب الذي يتعلق بالأمل، ليسعد ابنه

وقام الأستاذ عدلي كاسب بدور شبيب فساعده جسمه على الظهور بمظهر القائد الثائر، وساعده أداؤه الجيد على تصوير الحب الوالد

وقامت بالدور النسائي الأول السيدة نعيمة وصفي، وهو دور الأميرة تجسمت غيرة المرأة الثائرة، رفضها الاعتراف في حزنها، وحبها المرير الحجاج، وحقدها عليه لإذلاله لها، ثم مثاليتها حتماً لترى قاتلها المحروم. لقد صورت هذه الألوان العاطفية المتباينة، في عاطفة وصدق. وأثبتت أنها ممثلة جديرة بأن تقوم بالأدوار الرئيسية

وقد برز من طلبة المعهد، سعد قرقش، وفوزية مصطفى، فنجح الأول في دور عبد الله بن جعفر، ونجحت الثانية في دور عفراء وامتازت بصوتها الرقيق الحنون

. . . وبعد، فقد أثبتت فرقة المسرح الحديث وجودها في عالم المسرح، وأثبتت ما كان يرجى لها من نجاح بفضل غرضها إلى الحياة، ومن وراءه أبناؤه الذين كان له الفضل الأول في اكتشاف مواهبهم، وصقلها بالثقافة الفنية

أنور فتح الله

الرسالة

يلاحظ القارئ الذي شاهد تمثيل المسرحية أن الأستاذ الناقد قد نظر إلى المسرحية من خلال رأي للشاوي، وتمثيل [illegible] الجاسم، فقد أنه أخشى النقد للفرقة، وعن تحريك [illegible] إلى الحق

الديانة أو الضمير الإنساني ، ثم انتهى به الندم غير المجدي إلى عقدة نفسية وحالة من اللاشعور تدعوه إلى اعتياد شرب الماء فلا يرتوي أو لا يكاد يرتوي حتى يعود إلى الشرب نتيجة للإرادة اللاشعورية

وهذه الرواية أصدق ما تكون بالنسبة لهذا الفارس لأن الصورة التي ظلت تراقبه وتهيمن على ضميره اللاشعوري هي مشهد النهر ومشهد الحسين حين يقترب إلى النهر ليشرب الماء ، ومشهد الفارس حين يمنعه شرب الماء بالقوة ، واما من العقيدة الدينية أو الضمير الإنساني خلق هذا المشهد عقدة نفسية في هذا الفارس ولا يبعد أن تكون هذه العقدة قد أدت به إلى مرض في الجسم لا يشفيه إلا الماء فكلما تذكر المشهد اندفع إلى الماء ليشرب ويبقى يكرر العملية بوعي أو بدون وعي

وقد أثبت العلم الحديث كثيراً من الحالات الشاذة التي ترجع إلى عوامل نفسية بحتة ، تبقى ما بقيت هذه العوامل وتزول متى زالت ، كما أن اعتياد بعض الأعمال والإدمان عليها بإرادة أو بدون إرادة كثيرا ما يرجع إلى مرض نفسي وإلى عقدة نفسية من حادث يمر بحياة الإنسان فيدفعه إلى الشذوذ أو المرض الجسمي ، وفي الماضي القريب قرأنا : أن رجلا شل من مرض الشلل بعد توفاة حماته بلحظات ، وأثبت الطبيب المشرف على معالجته أن مرضه لم يكن إلا نتيجة لعقدة نفسية

وبعد فإن رواية عطش « الفارس » وعدم ارتوائه لا تدعو إلى الاستغراب والدهشة والاستهجان « نخبة ممتازة من الشباب المثقف » ببغداد ولا تستدعي لوم (الرسالة) على نشرها الأمثال من الأساطير والخزعبلات ! ! مادام (الشباب المثقف) يجد مجالا لحل مثل هذه الأساطير والخزعبلات على ضوء العلم الحديث ، وقد قيمت (الرســـالة) نشرها فدلت على الكاتب بقولها : « إنه أسلوب سيمضة » وليس يضرب أن يكون ذلك سواء أكان نتيجة لتلك العقدة النفسية التي سببها ذلك المشهد الخطر أم جاء هذا المرض منها فرافق حياة الفارس وكان جزءا من تاريخه

أما إذا لم يكن هناك تفسير مقبول لمثل هذه الروايات فإني مع المستهجنين الذين لا يرون في نشرها إلا تضليلا للعقول وإستثارة للعواطف الدينية

الكاظمية عراقي

أيها اللاجئون...

أقبل الشتاء أيها اللاجئون ؛ وعلى وجهه ظلمة القبر ، وفي نابه قسوة الدهر ، وعلى عاتقيه صيحة الهدم ، وعلى راحتيه ألف زوبعة وزوبعة . أقبل الشتاء أيها اللاجئون : وحشو كسائه الأعاصير الهوج ، وملء أعطافه السحائب السود ، وبصيص عينيه بروق واهية ، وملء جنبيه رعود عاصفة ؛ لها في الأسماع ألف هزيم وقرع ، وألف طنين وطنين !

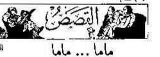
أقبل الشتاء أيها اللاجئون يأرز الثلج والقلب ، طويل الفصل والشرط ، ولكنه – والله ما طلقت الدماث سياطه من القسوة والشدة ، وكأنئة ما كانت نصالها من المضاء والحدة – ليس شرا من ماضيكم وحاضركم ، وليس أسوأ مما كابدتم وعاهدتم ، وهل رأيتم موقفاً أخشن من الجوع والفاقة ، ومورداً أكمر من الغصة والفاجعة ، ومسلكاً أقسى من الذل والهون . . ؟ !

أقبل الشتاء أيها اللاجئون : وقد بدلتم بالقرار الفرار ، وبالمنازل النوازل ، وبالرحاب الخراب . . !

أقبل وقد بدلتم بالتسهيد التشريد ، وبالنسمة النقمة ، وبالملاء البلاء . . ! أقبل وأمركم بين يدي حريص ومضيع ، وفي رقاق ، ولـيكم الله بين هذا وذاك . . ! فماذا ترجون . . ؟ ! والقوم قد ضاقت بكم حدودهم ، كما نامت قبل ذلك جنودهم . . !

ماذا ترجون وقد ركنوا إلى أحاديث يذيعونها ، وأصوات يسوقونها (وقلوب يهبونها) بعد أن غدرت بهم تلك الأخيرة ، وأمللهم متاهات الأطماع ، وأودت بهم قذارات النفوس . بل ماذا ترجون سوى أن يرجموا إليكم كل يوم قولا واهياً وأملا خابياً ، ووعداً كاذباً . . !

ولا بأس أن يطالبوا بأن تفرحوا وتستبشروا ، وتبتهجوا ولا تبتئسوا ، إذ يقل أحدهم إن قلوبهم معكم ، وإنهم حريصون على تدبير الاستقبال لكم وهو هناك أقل من القلوب أو قد منحتموها وأثمن من



ماما ... ماما

للشاب الأديب محمد أبو المعاطي أبو النجا

كانت « صفية هانم » تنقل خطوى بين المرآة ودولاب الملابس وهي تستعرض الفساتين الحريرية الناعمة على جسدها الناحل البديع لتختار الفستان الذي يبرز مفاتن ذلك الجسد ويشي بأسراره إلى العيون

ثم تنقل وهي تدندن بإحدى الأغنيات أمام معرض العطور والأدهان في ناحية أخرى من الحجرة المستعيد لشبابها النضرة جمال الزهور وثيابها الأنيقة رفيق العطور ... ثم تقف أخيراً أمام المرآة وكأنما تسألها رأيها في كل تلك الأناقة وإذ ذاك لا تستطيع أن تكتم تلك الابتسامة الراضية التي تكشف عن مدى إعجابها بهذا الرأي

وما تلبث « صفية هانم » أن تلق بجسمها على مقعد وثير حين تنتبه إلى أنها ستنتظر ساعة أخرى حتى يمكنها أن تذهب إلى الشقة المقابلة لتلق صلاح

ووضعت رأسها الصغير المضمخ بالعطور بين يديها وجعلت تتنقل بنظراتها القلقة في أنحاء الحجرة حتى انتهت تلك النظرات إلى وجه « سمير » وهو مستغرق في النوم فوق سريره الصغير ... وعلى الرغم منها تجد أن نظراتها تشيح عنه وهي تشعر بشيء من الضيق يوشك أن يستحيل إلى كراهية ... وعلى الرغم منها أيضاً تجد هذه النظرات تتجه إلى الماضي تتحدق فيه وسرعان ما تتماسك هي وراءها تنبش بعصا الخيال أنقاض الذكريات

أربع سنوات مضت وهي تعيش في هذا السجن المكون من ثلاث غرف مرصودة بفاخر الأثاث ونادر التحف وجميل الستائر أعني مخلفات زوجها وخلف لها ذلك المعاش الذي أتاح لها تلك الحياة الرخية الناعمة وخلف لها أيضاً سميراً ذلك الطفل الذي يهدف نحو سنته السادسة

الأفئدة؟ وقد وصفوها فلتعلسوا فيها الخف، والغذاء، والكساء، والتمسوا فيها السلوى والعزاء والشواء .. ؟ وماذا يضيرهم بعد هذه الحياة الرائعة لو متم جوعاً وظمأ؟ ؟ وماذا عسى يضيرهم بعد تلك النجدة الرغيمة، لو هالكم ترويسة الفقر والمقت والإملاق بل ماذا يهمهم لو عشتم في الحاضر البائس الميت — أشياء موتى أو أشباه أحياء — حتى يديروا لكم المستقبل الباسم السعيد .. ؟ ألا ما أكرم هؤلاء السادة .! حذار أن تنسوا هذا الكرم فإن ذلك يتنافى مع إخلاص الوافدين .. ؟ وحذار ألا تعدوا لهم ألهب الذي ، راهداً الأعلام . أي إسرائيلنا ؛ إن كانت الصهيونية تطلق على كل من كان سبباً في طرد فرد أو أفراد من مقامهم ، وإن كنتم سميتم باللاجئين لأنكم أخرجتم من مطرح إلى مطرح؛ فإبليس إذن أول الصهيونيين ، وآدم إذن أول اللاجئين وأبو اللاجئين .. فسواء به واحداء ، وليعلم كل عربي أنه لاجيء في وطنه ، غريب في بلاده ، مهما حاول أن يؤكد غير ذلك بأغلظ الأيمان ، حتى تندمل جراحكم ، وتلتئم قروحكم ، ويقضي الله أمراً كان مفعولا .

أحمد قاسم أحمد

خطآن : مطبعي وقلمي

خطآن وقعا في مجلة الرسالة الغراء بالعدد ٩٠٩ : مطبعي في مقال الأستاذ الزيات إذ وردت به هذه العبارة « وإذا وقع على مجلة في الطب أو مقالة في العلاج أو إعلاناً عن دواء ... » والصواب إعلان بالكسر

وقلمي في مقال الأستاذ حبيب الزحلاوي إذ وردت به هذه العبارة « وكان لا يطيع أمر الطبيب ويعصاه » . وكان الأستاذ قد التبس عليه الأمر في قوله « يعصاه » لأن الماضي « عصى » بفتح الصاد ، أو كأنه ظن أن « يعصاه » مثل ينهاه ويدعاه ، والصحيح « يعصيه » كما ورد ذلك في التنزيل الحكيم

عبد الحميد عمر

إنها تعجب أشد العجب !! — لقد كانت منذ شهر واحد تجد في كل أولئك جنة صغيرة وهي الأمل الوحيد الذي منحها فوق الأرض .

كانت تعتقد أنه يمكنها أن تكون أسعد مخلوقة ولو عاشت في مكان أقل من هذا وبيئة أبسط من تلك ما دام معها « سمير » وما دامت تعلك ذلك الفيض الزاخر من الذكريات ... الذكريات التي تنهل منها القلوب حين تظمأ العواطف في صحراء الحياة !!

وإنها لتكاد تجن حين تذكر أن هناك أيديا كثيرة كانت تمتد إليها ومعها الثراء والشباب والجاه ولكنها كانت ترفضها جميعاً لأنها كانت تفتح ذراعيها لتستقبل ذلك الطائل العثير الذي يقطع الردهة جرياً على قدميه الصغيرتين ليلقى بنفسه في حضنها الحبيب !!

كانت امرأة طريفة من غير شك تلك التي أنستها شبابها العثير

ترى يا ترى كانت تذكر ذلك الشاب وهي التي كانت تعشق يومها الطويل لا تفكر إلا في سمير ! وهذه الهيئة الطريفة ستسره من غير شك — وتلك البدلة الأنيقة سوف تكون مثار دهشته .. وهذه الحلة ما أجمل أن يشاهدها سمير — !

لقد كانت تود لو استحال العالم كله إلى لعب ، إذن لأحضرت له من أجل سمير ... !

الدمعات التي تمرح على شفتيه ، والنظرات التي ترقص في عينيه ، والكلمات التي تبدو متعثرة على لسانه الصغير ، كل أولئك تحف ثابتة كانت تبيع شبابها من أجلها وما أرخصه من ثمن !.

إن أرقى رجل في الوجود لا يستطيع أن يهزها بعرآه مثلما يهزها تلك الكلمات المتعثرة التي ينطق بها سمير في صعوبة — !

وهل من المظنون أن تتزوج رجلا لا تستطيع وهي في كنفه أن تقوم بنفس اللذيذ فراش سمير .. وتنتظر هل لا يزال الغطاء منسدلاً عليه ؟ وهل تحرك وهو نائم وأوشك رأسه أن ينحرف قليلا عن وسادته ؟؟ وهل مد يديه الصغيرتين فلم يجد عنقها ليلتف به في شوق ؟ كلا كلا هذا مستحيل !

إنها ترفض العالم كله إذا قدم إليها خاليا من سمير !

إنها الآن تتذكر كل ذلك ولا تملك إلا أن تبتسم في سخرية لهذه الأفكار التي تبدو لها الآن تافهة !

أجل إنها تافهة من غير شك وهي تعجب كيف ظلت تجهل ذلك حتى الآن !

الأمومة — التضحية — الذكريات ، كل هذه الألفاظ الجوفاء التي ظلت تخدع بها طيلة تلك السنوات الأربع ماجدواها وما نفعها ؟ أجل ماجدواها في ذلك الزمن الذي يغتصب فيه كل إنسان سعادته من فم الأيام ؟ ما أشبهها بأزهار الترع لا تجد وراء ألوانها الناقعة نفحة من عبير !

إن سميرا هذا الذي تبيع شبابها من أجله لتشتري له البسمات سوف يدفع لها الثمن يوماً وسيكون دموعا . غداً يكبر . وتكون له معشوقات وتمضي الليالي الطوال لا يفكر إلا في فتاة أحلامه ! أما هي فأغلب الظن أنه لن يذكرها إلا حين تحتاج إلى نقود ! ثم ماذا بعد ذلك ؟ سيتزوج سمير من غير شك . ومعنى هذا أنها ستنتقل من مركز الأم إلى مركز الحماة ! وهو مركز لن تحسد عليه بأي حال ! ومعنى هذا أيضاً أن « سمير » لن يتكلم معها إلا ليقول : « يا سيدتي إن هذا لا يصح ! لماذا دائماً تثيرين الخلاف مع زوجتي ؟ » وإذا قدر لها أن تغادر منزله بابتسامة فإنها فضلا عما ستحمله من معاني التهكم ستكون على رأس طائفة من الألفاظ لن تغفل بأي حال هذه العبارة — إني على استعداد لأن أبحث لك من مكان لائق ، وأتكفل بكل مطالبك على أن تتركينا ننعم ببعض الحياة التي كنت تنعمين بها مع أبي .. !

أما إذا تكرم يوماً بزيارتها فلن يحدث ذلك إلا حين يكون على خلاف مع زوجته ، أعني أنها لن تسمع منه غير ألفاظ الشكوى وزفرات الألم !

وهكذا وبكل بساطة تأتي امرأة أخرى لتأخذ الرجل الذي صنعته هي بدموعها وقدمت تيار شبابها الفاحش قرباناً في محراب حبه !

كم كانت مخدوعة وراء هذا السراب الزائف الذي يسمونه الأمومة ؟

ثم تبتسم في سخرية وهي تلقي على نفسها هذا السؤال ... لو كانت هي التي ماتت أكان من المقبول أن يبقى زوجها أربع سنوات بدون أن يتزوج؟ لا ، لا يجمل بعد اليوم أن تترك عواطفها الشابة تستدق على موقد ليس فيه غير الرماد!

هي إذن ليست مخطئة حين تعرفت إلى صلاح! ذلك الشاب الذي يسكن الشقة المقابلة. لقد أحست حين رأته أول مرة وهو يحمل ابنها الصغير بين يديه حين وجده يبذل مجهوداً في صعود السلم! أحست بكل جسدها ينتفض مثلما ينتفض المحموم حين توضع فوق جبينه قطرات الماء ... لقد استبقت يده بين يديها قليلا وهي تستجمع أشتات الألفاظ لتشكره على ذلك الصنيع الطيب!

ولم تتمكن تخلو إلى نفسها حتى رأته يبدو أمام عينيها بقامته الفارعة ووجهه الأسمر وابتسامته الخلابة؛ ومثلما سمحت لطفله أن يزور حولها فقد سمحت له أن يزور مسكنها. وهكذا استطاعت أن تجعل هذا اللقاء العابر يستحيل إلى صداقة. ومن يدري فقد تستحيل تلك الصداقة إلى حب ... ومهما يكن من شيء فحسبها تلك الصداقة التي تتيح لهما أن يذهبا معاً إلى دور السينما أو يرتادا أماكن اللهو التي يملأ جوانبها فنون من المسرة والإمتاع! ... وترفع رأسها الصغير ثم تنظر في ساعة يدها وسرعان ما تدرك أن ميعاد السهرة قد قرب فتقف قليلا أمام المرآة ثم تسرع نحو الباب، ومع تدير المزلاج يحدث ذلك الصوت المليء الشروف فيستيقظ سمير وينظر نحو أمه ثم يهتف بصوت أشبه النعاس — ماما ... ماما! إنت رايحه فين يا ماما! فتعود الأم وهي تحاول أن تهدهده حتى ينام ثم تقول له

— مش رايحه يا حبيبي ...! ولكن يدي الصغير تحوطان عنقها في إصرار وتشتد وهو يقول ... خليك هنا يا ماما ... وترتجف الأم حين تسمع ذلك الصوت الصغير الحالم

وتحس بأهدابها تختلج وبأعصابها تنتفض ... إنها تنظر في عينيه فلا تجد تلك النظرات الساذجة الهادئة؟ بل إنها تكاد ترى فيهما عيني والده ... الزوج الذي مات منذ أربع سنوات ... إن عينيه لم تموتا ... إنهما هنا يرمقانها بالعسيق النفاذ ... ! وهاتان اليدان الصغيرتان إنهما يشدان على عنقها بعنف لا تقدر عليه يدا رجل ... إن هذه الرقبات الطاغية التي كانت تعصف بروحها منذ حين لتوشك أن تختنق تحت وطأة هاته الأيدي الطهر ...! ولكن ها هو النوم يطبق أجفان سمير في هدوء، وها هو يسدل يديه من حول عنقها كأنه يريد أن يسنده إلى صدره؛ وها هو ذا عقرب الساعة يشير إلى تمام الثامنة ويشير إلى شيء آخر هو أن صلاح ينتظرها الآن فلماذا لا تخرج؟ الواقع أنها لا تستطيع لأنها هي الأخرى قد نامت إلى جوار سمير ... ثغرها على جبينه ... ويدها على خصره ... وروحها تعانق روحه في سماء لا يعلمها غير الله ...

محمد أبو المعاطي أبو النجا